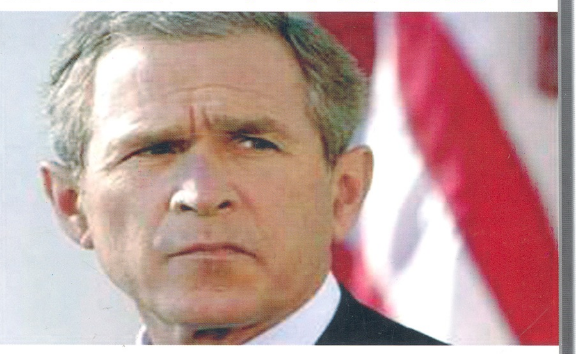


BUSH AT WAR



BOB WOODWARD

بوب وودوارد

مدبولى الصغير

حرب بوش

Bush at War

حرب بوش

عرض وتحليل

حسين عبدالواحد

●●

الناشر

مدبولى الصغير

٤٥ شارع البطل أحمد عبد العزيز

تليفون: ٣٤٧٧٤١٠ - ٣٤٤٢٢٥٠

●●

الإخراج التنفيذ الفنى

عفت إبراهيم

●●

تصميم الغلاف والإشراف العام

عاطف منصور

●●

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/٢١٣٩

الترقيم الدولى:977-286-172-0

الناشر : مدبولى الصغير

حرب بوش

Bush at War

عرض وتحليل

حسين عبدالواحد

المقدمة

هناك الكثيرون فى الولايات المتحدة الأمريكية و مناطق أخرى من العالم اعتبروا كتاب بوب وودوارد عن حرب بوش خطوة فى الاتجاه الذى اتخذته صحيفة واشنطن بوست نحو مغازلة الرئيس الأمريكى الحالى، و الذى وصل إلى حد محاولة تبرير كل قراراته.. بل وأخطائه.. و بذلك، تخلت الواشنطن بوست عن موقفها الانتقادى إزاء بوش خلال الشهور الأولى من رئاسته، وأيضاً تخلت عن شهرتها باعتبارها الصحيفة التى تتحدى رؤساء أمريكا.

والحقيقة أن كتاب وودوارد عن حرب بوش، و الذى نشرت الواشنطن بوست مقتطفات منه فى ست حلقات احتوت على ١٨ ألف كلمة، يعتبر رحلة وراء كواليس إدارة الرئيس جورج بوش الابن، ومحاولة لتجميل وتبرير ما يفكر فيه صناع القرار فى واشنطن الآن.. وكان معنى ذلك أن صحيفة الواشنطن بوست قد انضمت إلى تحالف الحرب الذى يشكله بوش.

وهكذا أصبح السؤال المطروح بإلحاح هو.. كيف تحول الصحفى بوب وودوارد والصحيفة واشنطن بوست اللذان أطاحا بريتشارد نيكسون عقب فضيحة ووترجيت، من المواجهة إلى التحالف مع الرئيس الأمريكى الحالى ؟

يرد البعض على ذلك بقولهم.. ربما يكون الرئيس بوش قد تغير، وبالتالى تغير موقف وودوارد و صحيفته منه..

ويقول هؤلاء إن موقف بوش من العراق تغير بشكل أو بآخر.. فبعد أن كان يسير فى طريق أحادية الموقف الأمريكى، و هو ما انتقدته الواشنطن بوست، أصبح يميل إلى الموقف الجماعى أو التعددى من خلال التعاون مع الأمم المتحدة فى الأزمة العراقية.

ففى يناير عام ٢٠٠٢ أصاب بوش العالم بما يشبه الصاعقة عندما تحدث فى خطاب" حالة الاتحاد" عن (محور الشر).. و رغم أن الكثيرين من الأمريكيين رحبوا بهذا (الوضوح الأخلاقى) من جانب بوش، فإن وسائل الإعلام انتقدت هذا التعبير باعتباره يعكس بشكل مباشر ثقافة (الكاوبوى) أو رعاة البقر، و يكرس أحادية الموقف الأمريكى.

و قد تصاعد هذا الموقف من جانب بوش فى يونيو عام ٢٠٠٢ عندما أعلن الرئيس بوش مفهومه الجديد حول (الحرب الوقائية) ضد من وصفهم بالإرهابيين و الطغاة !

و لكن فى سبتمبر من العام نفسه تغير بوش بشكل واضح.. فقد توجه إلى مدينة نيويورك و أعلن أنه سينقل قضيته ضد العراق إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذى يمثل قدس الأقداس بالنسبة للسياسة أو الدبلوماسية العالمية.. و قد أجرى بوش سلسلة من المشاورات حصل بعدها على تفويض من الكونجرس بشن الحرب، ثم حصل بعد ذلك على تفويض آخر من الناخبين الأمريكيين الذين أعطوا أصواتهم لحزبه الجمهورى فى انتخابات التجديد النصفى للكونجرس فى نوفمبر.

و بعد ذلك، حصل بوش على دعم من مجلس الأمن و حلف الأطلنطى و أصبح رئيساً أمريكياً يسعى لحشد تحالف دولى وراء قضيته ضد العراق، و هى السياسة نفسها التى سار عليها والده جورج بوش الأب قبل عقد من الزمان خلال حرب عاصفة الصحراء لتحرير الكويت..

ويفسر بوب وودوارد سر هذا التغيير فى كتابه بقوله إنه يرجع إلى اجتماع تم بين بوش ووزير خارجيته كولن باول يوم ٥ أغسطس ,٢٠٠٢

ففى هذا الاجتماع كان بوش يريد الحديث عن العديد من القضايا و بحث جميع عواقب شن هجوم ضد العراق.. و كان رد باول هو أن فكرة ضرب العراق وفقاً لقرار تنفرد به أمريكا تعد أمراً مستحيلاً رغم أنها قد تكون فكرة جذابة.. و قد صدم بوش من هذا الرد، و لكنه تظاهر بأنه يعرف كل شىء و أنه يضع جميع الحسابات فى اعتباره.

و رغم ذلك، بدأ بوش منذ ذلك الاجتماع يعيد ترتيب أوراقه، و هو الأمر الذى وصفته الواشنطن بوست بأنه عكس تغييراً فى موقف الرئيس الأمريكى ترتب عليه تغيير فى موقف الصحيفة منه !!

وحدث ما يشبه الاتفاق بين بوش و الصحيفة الأمريكية الكبيرة حول أهمية حشد تحالف متعدد الجنسيات ضد الإرهاب، و هو تحالف ما زالت مواقف بعض أطرافه على الأقل تحيط بها الشكوك و الشبهات.

وعلى سبيل المثال، أعلن الرئيس الروسى فلاديمير بوتين أنه عضو فى هذا التحالف، ولكنه زعم أن دولاً أخرى ـ مثل السعودية و باكستان ـ لا تتعاون بالقدر الكافى و أنها جزء من المشكلة أكثر منها جزءاً من الحل !!.. والمنطق نفسه يمكن تطبيقه بالنسبة لضرب العراق.

ورغم أن الكثيرين توقعوا منذ البداية أن ينتهى الأمر بتوجيه ضربة أحادية أمريكية ضد العراق، فإن الصحفى الأمريكى ذائع الصيت بوب وودوارد يتحدث عن تغيير فى موقف بوش ويكرس كتابه للترويج لسياسات الادارة اليمينية الحالية فى واشنطن.

وهنا يجب طرح السؤال بشكل آخر، لماذا تنضم صحيفة مثل واشنطن بوست، وصحفى مشاغب عنيد مثل بوب وودوارد إلى تحالف بوش من أجل الحرب ؟

يرى بعض المراقبين أن هذه الخطوة تعكس اتجاها خطيراً نحو انضمام الإعلام الأمريكى إلى مؤسسة السلطة ليصبح أحد أجهزتها أو وكالاتها، الأمر الذى قد تترتب عليه نتائج خطيرة بالنسبة لحرية الصحافة الأمريكية..

و ربما يقدم كتاب بوب وودوارد كثيراً من التفسيرات حول هذه الخطوة الأخيرة و هو ينقل الحوارات التى دارت بين المسئولين فى إدارة بوش حول حرب أفغانستان والمواجهة مع العراق.

ولكن يتعين لفت الانتباه إلى أن صحيفة الواشنطن بوست أقدمت على أسلوب غير معتاد فى الصحافة الأمريكية و الغربية بوجه عام عندما نشرت على صدر صفحتها الأولى صورة ضخمة لمحررها بوب وودوارد مع الرئيس بوش و هو يرتدى ملابسه الرياضية أثناء المقابلة الصحفية التى جرت فى مزرعة الرئيس بولاية تكساس فى شهر أغسطس الماضى و استغرقت ١٥٠ دقيقة.

و هذا الأسلوب قد يكون معتاداً فى صحف العالم الثالث، و لكنه نادر بكل تأكيد فى الصحافة الأمريكية حيث لا تنشر أى صحيفة صورة بهذا الحجم لأحد كتابها و هو يجرى حديثاً مع أى شخصية مهما كانت أهميتها..

و تعكس هذه الصورة مدى قوة بوب وودوارد الذى ربما كان أشهر صحفى أمريكى الآن، فى صحيفته الواشنطن بوست، كما تعكس أيضاً قدرته غير العادية على الوصول لأعلى مستويات السلطة و النفوذ فى واشنطن.

و لا شك فى أن بوب وودوارد صحفى بارع يتميز بتعدد و ثراء مصادره، بالإضافة إلى أسلوبه المتميز فى الكتابة.. لذلك لم يكن من الغريب أن يقوم بتأليف ١١ كتاباً حققت كلها نجاحاً ملحوظاً، و كان آخرها حرب بوش (Bush at War) الذى تصدر قائمة أكثر الكتب مبيعاً بعد أيام من صدوره..

و نتيجة لذلك، تمتع بوب وودوارد بثقة الكثيرين، و لكنه فى نفس الوقت كان مجرد أداة فى أيدى آخرين استطاعوا استغلاله و استخدامه لخدمة أغراضهم و مخططاتهم.

و ربما يستغرب البعض استمرار بوب وودوارد فى العمل بصحيفة واشنطن بوست بعد ٣٠ عاماً من النجاحات الهائلة فى عالم الصحافة و الخبطات الصحفية المدوية، و الكتب التى هزت أمريكا و العالم.. و لكن هذه هى عادة الواشنطن بوست التى لا تفرط فى كتابها المتميزين حتى لو تفرغوا لفترات من أجل إنجاز أعمال أخرى مثل تأليف الكتب و غيرها..

و رغم ذلك، فالوضع مختلف بالنسبة لبوب وودوارد بالتحديد.. فقد حقق شهرته مع زميله كارل برنشتاين عندما كشف تورط الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون فى فضيحة ووتر جيت.

و منذ البداية، كان وودوارد يدرك أن الفضائح لا تنمو على أغصان الشجر، و لذلك كان يبحث عنها وراء الأبواب المغلقة.. و فى عقول و صدور الشخصيات الهامة فى كل موقع.. و هذه كلها بكل تأكيد من ملامح الصحفى الناجح.. و لكن الذى لا شك فيه أيضاً

أن صحيفة الواشنطن بوست شاركت بفعالية فى صنع أسطورة بوب وودوارد منذ أيام فضيحة ووترجيت التى خصصت خلالها فريقاً كاملاً لمساعدته، ووفرت له كل الإمكانيات، و حتى كتابه الأخير حول بوش و الحرب، و الذى عرضته فى حلقات و نوهت عنه يومياً على صدر صفحاتها الأولى.

ونشرت مجلة نيوزويك التى تمتلكها الواشنطن بوست قصة كبيرة عن هذا الكتاب.. كما حظى الكتاب بتغطية واسعة من أهم محطات التليفزيون الأمريكية مثل (سى بى اس (و (سى إن إن) فى برنامجها الشهير (لارى كينج).. و قد لعبت الواشنطن بوست دوراً مهماً فى عملية الترويج الكبرى لهذا الكتاب الذى يقدم للرأى العام أفكار وسياسات الرئيس بوش فى أروع صورة ممكنة.

وفى مقابل ذلك، قدم بوب وودوارد للواشنطن بوست أعمالاً صحفية قيمة أثناء عمله فى إعداد كتابه.. و كان ذلك واضحاً تماماً فى أعقاب هجمات ١١ سبتمبر، حيث كتب وودوارد للصحيفة عدداً من أهم القصص الصحفية التى حققت لها السبق على غيرها من الصحف الأمريكية.

وقد لاحظ الكثيرون من القراء فى الولايات المتحدة مبالغة الواشنطن بوست فى الدعاية لكتاب وودوارد و هو مساعد مدير تحريرها.. و قال بعض المراقبين إن وودوارد حصل على مكافأة من الرئيس بوش و من الصحيفة التى يعمل بها على المقالات التى كتبها بعد ١١ سبتمبر، والتى أظهرت مسئولى الادارة الأمريكية فى صورة تتسم بالقوة والحسم.

وكانت هذه المكافأة هى مادة كتابه الأخير (حرب بوش) التى حصل عليها من المسئولين الأمريكيين، والدعاية الرهيبة لهذا الكتاب و التى قدمتها المؤسسة الصحفية العملاقة.. الواشنطن بوست..

و قد عبر الصحفى الأمريكى أندرو فيرجسون فى صحيفة بلومبرج نيوز عن هذه الفكرة بقوله إن الرئيس بوش تعلم درس الكتب و التأثير الذى يمكن أن تحققه فى الرأى العام.. و أدرك بوش أن ساحة الكتاب السياسى هى ملعب بوب وودوارد و لذلك قرر أن يمارس هذه اللعبة..

و مما يؤكد هذا الرأى أن هناك أسئلة عديدة و خطيرة لم يقدم لها كتاب بوب وودوارد أى إجابات..

ماذا حدث بالفعل بالنسبة للتحذيرات التى تلقتها حكومة بوش قبل هجمات ١١ سبتمبر ؟.. هل تعمدت إدارة بوش عدم الدفع بقوات أمريكية إلى أفغانستان فى بداية الحرب مما أتاح الفرصة لهروب بن لادن ؟.. لماذا بدأت واشنطن تغير أولوياتها منذ فبراير ٢٠٠٢ لتركز على العراق بدلاً من بن لادن ؟.. و هل يعكس هذا التغير حيلة انتخابية أم استراتيجية عسكرية ؟.. كيف تستعد أمريكا لخوض حرب أخرى فى العراق بينما ملف الحرب ضد الإرهاب لم يغلق بعد ؟..

و قد جرت العادة على أن ينتظر المؤرخون و الكتاب لأعوام حتى يصبح بوسعهم فهم أبعاد القرارات الخطيرة التى يتخذها الزعماء و الرؤساء خلال الأزمات الساخنة.. و لكن بوب وودوارد لم يكن فى حاجة لذلك حيث قدم فى هذا الكتاب فرصة نادرة لفهم أفكار و سياسات رئيس أمريكى مازال يجلس فى المكتب البيضاوى بالبيت الأبيض و هو جورج دبليو بوش.

و ما ورد فى هذا الكتاب يشير بوضوح إلى أن وودوارد اعتمد بشكل أساسى على مصادر قريبة من الرئيس بوش، و ربما يفسر ذلك الصورة الإيجابية المبالغ فيها التى يطرحها هذا الكتاب للرئيس الأمريكى.

و رغم ذلك، فقد أتاحت هذه المصادر لبوب وودوارد الوصول إلى محاضر اجتماعات ومناقشات سرية كان كشف تفاصيلها يحتاج لعشرات السنين كما حدث لرؤساء أمريكيين سابقين من أمثال إبراهام لينكولن و فرانكلين روزفلت و جون كينيدى و ليندون جونسون

و الغريب أن نتيجة هذا القفز عبر حواجز الأمن المعتادة قد وضعت بوش و أسلوب إدارته للأزمة فى مجال المقارنة مع زعماء عمالقة آخرين فى التاريخ الأمريكى.

وعلى أية حال، فان أهم الملامح التى ظهرت فى كتاب بوب وودوارد عن الرئيس بوش خلال إدارته للأزمة هى قدرته على التسامح إزاء الصراعات الرهيبة بين أفراد إدارته، وأيضاً براعته فى ترجيح كفة الصقور أو الحمائم من رجاله فى الوقت المناسب.

وكما يقول وودوارد، فإن بوش أظهر قدرة فائقة على الصبر و ضبط النفس فى أصعب الأوقات، و الأهم من ذلك هو إصراره الشديد على ضرورة تحقيق الهدف الذى يسعى إليه فى النهاية مهما طال الوقت.

وخلال لقاء بوش مع وودوارد و الذى نشر بالتفصيل فى هذا الكتاب، يعرب الرئيس الأمريكى بوضوح تام عن وجهة نظره فى الدور الذى يتعين على أى زعيم أن يلعبه خلال أوقات الحروب و الأزمات فيقول : " أنه يجب أن يكون مثل دور الكالسيوم فى العمود الفقرى.. فاذا ضعف الزعيم أو الرئيس فإن فريق العاملين معه يصاب كله بالضعف والوهن.. و اذا سيطرت الشكوك على الرئيس فمن المؤكد أنها ستسيطر على الجميع "..

و رغم الصورة البراقة التى يقدمها الكتاب لجورج بوش، فإن المؤلف بوب وودوارد لا يجيب عن كثير من الأسئلة التى تتعلق بشخصية الرئيس الأمريكى الحالى.. هل لديه ما يكفى من البصيرة و الابداع لكى يكون رئيساً عظيماً ؟.. هل تعكس ردود أفعال بوش الفورية و العصبية نوعاً من السطحية و عدم الميل للتعمق فى الأمور ؟ !.. و إذا كان بوش رجل مبادئ كما يقول بوب وودوارد فى كتابه، فلماذا يطغى البعد السياسى بشكل ملحوظ على قراراته الخاصة بالشئون الداخلية ؟!

وليس هناك شك فى أن هذه التساؤلات سوف تحتاج للكثير من الوقت من أجل الوصول إلى إجابات حاسمة و مقنعة لها.. و لن يستطيع تقديم مثل هذه الإجابات سوى المؤرخين الحقيقيين..

وقد حاول بوب وودوارد فى كتابه إقناع القارئ بالصورة الإيجابية التى يحاول أن يرسمها للرئيس بوش.. و من أجل تحقيق هذا الهدف، لجأ وودوارد إلى وسائل عديدة منها سيناريوهات وضعها بعناية لمواقف مختلفة شارك فيها بوش و كان خلالها، والعهدة هنا على المؤلف، نموذجاً للرئيس الصلب القوى والمتماسك فى أحلك اللحظات.

وكنموذج لهذه السيناريوهات، يشير المؤلف إلى اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى يوم ٢٦ أكتوبر عام ٢٠٠١، حيث كانت الحرب فى أفغانستان تمر بمرحلة صعبة، نظراً لأن القصف الجوى الأمريكى لمواقع طالبان و القاعدة لم يحدث تأثيراً يذكر على قوات طالبان التى كانت تسيطر على الموقف حتى ذلك الحين.

و كانت الصحافة الأمريكية و العالمية قد بدأت تشير إلى أن بوش فى طريقه إلى مستنقع أفغانى على غرار المستنقع الذى غرقت فيه الولايات المتحدة من قبل فى فيتنام.. ووصلت الأمور إلى حد أن كوندوليزا رايس مستشار الأمن القومى الأمريكى طلبت من الرئيس بوش أن يبحث إمكانية طرح استراتيجيات بديلة لمواجهة هذا الموقف الصعب..

و يقول مؤلف الكتاب إن بوش ظهر فى هذا الاجتماع كنموذج للرئيس الواثق من نفسه فطلب من كبار المسئولين فى حكومته ما يشبه (إعلان الولاء) عندما قال : " أريد فقط التأكد من أننا جميعاً نوافق على هذه الخطط التى نتبعها "..

ورد الجميع على بوش بالموافقة.. و عندما سألهم عما إذا كان لدى أحد منهم فكرة يريد أن يطرحها للنقاش، لم تكن هناك أى مقترحات بخصوص إستراتيجية جديدة.. وكان معنى ذلك هو نجاح بوش فى توحيد صفوف هذه الإدارة، كما يقول بوب وودوارد.

و هنا انطلق بوش ليطلب من مساعديه التحلى بالصبر و الثبات و الثقة فى الخطة التى يجرى تنفيذها قائلاً إن الحملة الأمريكية ضد الإرهاب بدأت منذ ١٩ يوماً فقط، وإنه لمن المبكر للغاية الحكم على نتائجها أو مدى نجاحها خلال مثل تلك الفترة القصيرة

ووصلت محاولات بوب وودوارد للإشادة ببوش إلى حد الانبهار بمثل هذه المواقف التى تكاد تكون طبيعية، و قارن وودوارد بين ما فعله بوش فى اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى يوم ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١، و بين أداء الرئيس الأمريكى الراحل جون كينيدى خلال أزمة (خليج الخنازير) فى كوبا، و التى وصلت فيها الأمور إلى حافة هاوية الحرب النووية مع الاتحاد السوفييتى.. حدث ذلك رغم أن التشابه الوحيد المعقول بين الموقفين كان هو وجود انقسام بين المسئولين الأمريكيين، و هو الانقسام الذى نجح كينيدى و بوش فى احتوائه و السيطرة عليه.

والأكثر من ذلك، أن بوب وودوارد يحاول أن يضفى صورة " السوبرمان " أو " السوبر رئيس " على جورج بوش عندما يؤكد أنه كان يستغرق فى النوم ملء جفنيه خلال أصعب ليالى الأزمة، واستهد على ذلك بما أكدته زوجة بوش من أن الرئيس أصيب بالأرق ذات ليلة خلال الحرب !!

والواقع أنه منذ فضيحة ووترجيت التى تورطت فيها إدارة الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون فى أوائل السبعينيات، ظل الصحفى بوب وودوارد سيفاً مصلتًا على البيت الأبيض.

و مع ذلك فقد قال النقاد إن كتابه الأخير به نوع من الملاطفة للرئيس جورج بوش.. فهل أصبح وودوارد فى مكانة مقربة من الرئيس ؟.. لقد كان هذا هو السؤال الذى طرحته الصحفية الأمريكية جوليان مور على بوب وودوارد و كتبت بعد ذلك تقول :فى اللحظة التى تدخل فيها منزل وودوارد بمدينة جورج تاون تدرك على الفور أنه تحول منذ أمد بعيد من مجرد كونه صحفيا إلى شىء آخر أبعد من ذلك بكثير.. فهذا المنزل لا بد وأن يكون مسكناً خاصاً لرجل يعمل بالسلك الدبلوماسى، حتى أن المطبخ يصلح كمكان لاستقبال الضيوف فيه.

لقد ابتعد وودوارد كثيراً عن مهنته الأصلية كمحرر فى قسم الشئون المحلية بصحيفة الواشنطن بوست، بعد أن أدت كتاباته عن فضيحة ووترجيت لاستقالة الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون، كما عاد صديقه كارل برنشتاين الحائز على جائزة بوليتزر لجهوده الصحفية فى القضية نفسها إلى حياة الغموض بعدما تحولت قصة خيانة زوجته نورا إيفرون إلى كتاب وفيلم يحملان نفس الاسم (القلب المحترق).

وكانت آخر مرة ظهر فيها برنشتاين فى الواشنطن بوست عندما اشتكى اثنان من مساعديه من أنه اقترض منهما أموالاً و فشل فى سدادها حيث أعطاهما شيكات بدون أرصدة.

و لكن بوب وودوارد كان على النقيض من ذلك تماماً، حيث أمطر الواشنطن بوست بوابل من الكتب عن السلطة و أبرز من تقلدوها فى الولايات المتحدة مما ساعده على أن يكون من الشخصيات البارزة فى الصحيفة و خصص له فيها مكتب فاخر.

و فى كتابه Bush at War، خصص وودوارد جزءاً كبيراً لمقابلة أجراها مع الرئيس الأمريكى استمرت ٩٠ دقيقة فى البيت الأبيض، و مقابلة أخرى فى مزرعته بتكساس استمرت ساعتين و نصف الساعة.

كما أجرى مقابلات مع شخصيات أخرى مثل كولين باول وزير الخارجية، و كوندوليزا رايس مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى، و جورج تينيت مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، و دونالد رامسفيلد وزير الدفاع، فضلاً عن التغطيات الموسعة للاجتماعات البارزة الخاصة بالأمن القومى منذ أحداث ١١ سبتمبر الإرهابية، و هو الأمر الذى لم يتح لغيره من الصحفيين.

و هذا الكتاب يرسم صورة إيجابية جذابة لادارة الرئيس بوش، كما يجمل صورة الصراع الشهير داخل الادارة بين باول و صقور البيت الأبيض ديك تشينى نائب الرئيس و رامسفيلد و نائبه (باول وولفيتز) فى حين يظهر بوش فى صورة القاضى الحكيم الذى ينهى ذلك الصراع.

وهذا كله يطرح سؤالاً حتمياً عن الصحافة التى تنفذ إلى المصادر السرية، و هو " هل هناك علاقة بين توقيت و نوعية المعلومات التى يدلى بها أحد المصادر القوية و بين الطريقة التى يعالج بها الصحفى هذه المعلومات وفقاً لحساباته الخاصة ؟.. هذا السؤال أثار غضب بوب وودوارد الشديد، و رد عليه قائلاً: إن فكرة البدل أو التعويض هى فكرة تثير الاشمئزاز، و هى لم تحدث و لن تحدث معى أبداً.

و استبعد وودوارد أن يكون قد دعى إلى البيت الأبيض أو طلب منه كتابة سيرة نبيلة " للرئيس فى الحرب " بل أصر على أنه وضع معظم تفاصيل الكتاب معتمداً على مصادره قبل أن يعلم المسئولون البارزون شيئاً عن نواياه.

وقال : إن مسألة النفاذ إلى المصادر أمر مثير للاهتمام، و لكنه أخذ حيزاً أكبر مما يجب أن يكون عليه.. و أضاف قائلاً : انك تحصل على معلومات ضئيلة من شخص ما قد يكون مصدراً موثوقاً به، و تتحدث إلى مسئولين من متوسطى المستوى، و قد استغرقت شهوراً طويلة للقيام بذلك.

وقال أنه قارن بين روايات كل شخصية عن الحدث الواحد مؤكداً أنه لم يعتمد صحة أى منها فى الحال، وأنه مقتنع تماماً بأن لديه الروايات الصحيحة و أن قيامه طيلة هذه

الفترة الكبيرة من الزمن بتكرار هذه الأعمال جعلها أمراً غير قابل للشك بالنسبة له.. وأضاف : إنه نوع من الممارسات أحب أن أسميه (الحقيقة) فى الصحافة.

وتحولت نبرة الكلام فى حديث وودوارد إلى الغضب و أخذ يردد بصوت مرتفع " ما الذى حدث فى الواقع ؟ و من هؤلاء الأشخاص ؟ و ماذا فعلوا ؟ و ماذا قالوا ؟.. و بدلاً من ذلك انظروا إلى الأمور برؤية سياسية أو برؤية مؤيدة للحرب أو حتى مناهضة لها، ولكننى أقول إن هذا ما حدث بالفعل ".

وكتاب " حرب بوش " أو " بوش فى الحرب " يعرض بعض المناقشات المهمة داخل الادارة الأمريكية بتفصيل واسع و منها اجتماع مجلس الحرب بعد أربعة أيام فقط من أحداث ١١ سبتمبر فى كامب ديفيد لوضع استراتيجية للحرب ضد الإرهاب.

وحتى هذه اللحظة التى كانت لاتزال الصدمة تسيطر فيها على الجميع، ذكر الكتاب أن ولفويتز نائب وزير الدفاع و زعيم صقور واشنطون كان يدفع بإصرار نحو شن هجوم ضد العراق بدلاً من أفغانستان لأنه سيكون أسهل فى تنفيذه.

وقال الكتاب إنه كان قلقاً على المصير الغامض الذى ينتظر ١٠٠ ألف جندى أمريكى فى جبال أفغانستان الوعرة لفترة قد تتعدى الستة أشهر.. و لكن الوضع فى العراق سيكون أكثر سهولة، مضيفاً أن الرئيس العراقى صدام حسين قد يكون متورطاً فى أحداث سبتمبر بنسبة تتراوح ما بين ١٠ و ٥٠ فى المائة.

كما ذكر الكتاب أن كوندوليزا رايس تساءلت عما إذا كان يجب على الولايات المتحدة أن تخوض حربين إن لم تحقق واحدة الثمار المرجوة منها.

و مع ذلك نصح مساعدو بوش و على رأسهم تشينى و باول و آندى كارد رئيس هيئة العاملين بالبيت الأبيض بعدم شن حرب على العراق، فيما لم يعارض تلك النصيحة سوى شخص واحد هو.. رامسفيلد.

والنقطة المهمة التالية فى الأحداث التى سردها الكتاب هى يوم ٢٦ اكتوبر ٢٠٠١ وهو اليوم الذى بدأ يظهر فيه أن الضربات الجوية على أفغانستان لم تحقق سوى نتائج

محدودة فى الاطاحة بحركة طالبان مما أثار عاصفة من الانتقادات بأن الولايات المتحدة فى طريقها إلى تكرار ما حدث فى فيتنام.

وفى محاولة لتدارك ذلك الإخفاق توجهت رايس إلى الرئيس بوش لسؤاله عما إذا كان يرغب فى تغيير استراتيجيته و إرسال المزيد من القوات البرية إلى أفغانستان و هو الأمر الذى عارضه مجلس الحرب بشدة.

ويؤكد الكتاب على حدوث الكثير من الخلافات بين صقور الادارة الأمريكية وأن كثيراً منها كان محض خلافات شخصية.. و يشير الكتاب إلى أن بوش كان يقف دائماً فى صف الصقور، و أن باول كان يشتكى كثيراً من أنه مستبعد من القرارات التى يتخذها البيت الأبيض، و لكنه نجح أخيراً فى إبلاغ وجهة نظره لبوش خلال اجتماع على العشاء.

ويشير الكتاب إلى أن ذلك الاجتماع يعتبر من أهم الأحداث فى التاريخ الحديث لأمريكا، لأنه غير تفكير بوش و أقنعه بالاتجاه إلى الأمم المتحدة.

وفى رأى بوب وودوارد، فان قرار الأمم المتحدة كان مجرد تأجيل للضربة الوشيكة ضد العراق، و دليل واضح على أن الرئيس لديه القدرة على الإمساك بمقاليد الأمور وأن مساعديه لا يستطيعون عمل أى شىء دون موافقته.

ومما ورد فى الكتاب نستطيع القول إن أمهر الصحفيين المحاورين فى أمريكا تحول عن مساره بفضل بعض الأوقات التى قضاها مع الرئيس لدرجة أنه دافع بشدة عن سياسة الرئيس تجاه الصراع الفلسطينى الإسرائيلى و التى وصفها الكثيرون من الخبراء بأنها كارثة كبرى.

ولكن عندما سئل عما إذا كان يعتقد أن بوش سيوصف بأنه من أعظم الرؤساء فى تاريخ الولايات المتحدة، قال وودوارد " ليس لدى فكرة" !!

و يعتقد وودوارد أن المحاولات الصحفية للتعمق فى المستقبل ليست سوى تنبؤات أو توقعات، و أن وظيفته هى التأمل فى التجارب السابقة

حسين عبد الواحد

□□□

قبل أن تقرأ

هذا الكتاب رحلة يقوم بها بوب وودوارد إلى ما وراء قرار الرئيس بوش و رجال و نساء إدارته تأجيج الحرب ضد الإرهاب، وفقاً للمذكرات المواكبة للأحداث و التى قام مجلس الأمن القومى الأمريكى بإعدادها على مدار ٥٠ اجتماعا، و كذلك ما حصل عليه بوب وودوارد من وثائق و مذكرات حكومية، بالإضافة لعدد من المقابلات الصحفية التى أجراها مع جماعات من أعضاء الإدارة الأمريكية، و حتى مقابلات مع الرئيس الأمريكى نفسه.. و هو هنا يرسم صورة الأجواء التى صاحبت الأزمة فى البيت الأبيض و الكيفية التى اتخذ بها قرار الحرب ضد أفغانستان وصولاً لقرار الحرب ضد صدام حسين.

ولقد عمد وودوارد الذى أصدر هذا الكتاب فى نوفمبر ٢٠٠٢ ليكلل ٣٠ سنة من مهنته الصحفية بكتاب مثير للجدل، للتركيز على الأشهر الثلاثة التى أعقبت هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية التى تعرضت لها الولايات المتحدة عام ٢٠٠١، و التى أعدت الولايات المتحدة نفسها خلالها للحرب ضد أفغانستان، و اتخذت أثناءها قرارات و خطوات تمهيدية لتوجيه ضربة وقائية ضد العراق.. و كشفت خلالها من الإجراءات التى تهدف لتعزيز الأمن الداخلى، و من ثم بدأت حرباً سرية استخباراتية ممولة جيداً ضد الإرهاب فى جميع أنحاء العالم.

ويحظى الكتاب بطريقة السرد التى اشتهر بها بوب وودوارد،حيث يصف فى كثير من مواضعه انطباعاته الشخصية تجاه ما يصله من معلومات و مناخ لقاءاته و حواراته مع مصادره بشكل درامى، يشعرك وكأنك حاضر معه كل ما اجتازه من أروقة سرية و كل ما سمعه و عاينه من معلومات يوماً بيوم، إن لم يكن لحظة بلحظة، بشأن الكيفية التى

اتخذت بها أخطر القرارات و معارك النفوذ داخل البيت الأبيض التى عادة ما تتم من وراء الستار.

على أن أهم ما لفت الأنظار إلى هذا الكتاب فى بقاع عديدة من العالم، هو تحليل وودوارد لنمط الرئيس جورج دبليو بوش فى الزعامة، و هو نمط يكاد يكون ـ بوصف الكاتب ـ غريزياً، إذ أخذ بوش منذ بداية الأزمة يحث فريق إدارته على ضرورة العمل لاتخاذ كل إجراء يفضى إلى نتائج ملموسة على أرض الواقع.

ويصف وودوارد فى كتابه تلك الشكوك التى كانت تنتاب أعضاء الإدارة الأمريكية لحظة وقوع الاعتداءات، و أيضاً اضطراباتهم فى الاستجابة للحدث - برغم الثقة العالية فى النفس التى أبدتها الإدارة الأمريكية فى أعقاب الهجمات على حد قوله - و كذلك كفاح كولين باول ليحوز ثقة الرئيس بوش، و هو الأمر الذى كان يقف ضد رغبات ديك تشينى نائب الرئيس الامريكى و دونالد رامسفيلد وزير الدفاع، من أجل أن يتقبل بوش وجهة نظر وزير خارجيته بشأن التحرك الدولى الجماعى، لا التحرك الفردى، و هو الاتجاه الذى كاد أن يوقع طلاقاً بين الولايات المتحدة و أقرب حليفاتها فى العالم الغربى.. و كذلك مدى اعتداد بوش باستطلاعات الرأى العام برغم ادعائه العكس، كذلك تلك النصائح التى ترد إليه من محطات الأنباء و منها محطة تليفزيون فوكس نيوز، و إغداق وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية الأموال على لوردات الحرب فى أفغانستان، و كيف أفضت هذه الأموال إلى حسم الدعم للجانب الأمريكى فى أثناء الحرب و حتى وقت صدور هذا الكتاب.

لكن أخطر ما ذهب إليه الكتاب هو أن الإطاحة بنظام صدام حسين و نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية وفق مفهوم الإدارة الأمريكية كانت قراراً استراتيجياً لا مناص من تحقيقه و غير قابلة للمساومة على مائدة التوازنات الدولية.. فهو قرار يدخل فى صميم متطلبات الأمن القومى للولايات المتحدة، و يحتل درجة الأهمية القصوى فى سلم الأولويات.. فيما تأتى بعده مصالح استراتيجية أخرى متعلقة بثروات العراق النفطية، وفى تحييده كقوة محتملة للوقوف بوجه إسرائيل، و فى جعله قوة عازلة لوجه توسع إيرانى محتمل.

ويأتى هذا القرار ضمن سياسة جديدة تبنتها الإدارة الأمريكية فى أعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر و هى سياسة الدفاع الوقائى (Preventive Defense) والتى تتلخص فى أن الولايات المتحدة لا يمكنها المجازفة بالتعايش مع الأنظمة أو المنظمات التى يمكن أن تشكل خطراً مباشراً على أمنها القومى مثل نظام صدام حسين.. وبالتالى فإن سياسة الدفاع الوقائى تحتم على حكومة الولايات المتحدة البحث عن مصادر التهديد و الانقضاض عليها لحرمانها من فرصة توجيه ضربات موجعة فى العمق الأمريكى كما حدث يوم الحادى عشر من سبتمبر.

وفرضية القرار الاستراتيجى آنفة الذكر لا تتناقض أبداً مع ما يبدو من تراجع فى خطاب الإدارة الامريكية على أثر صدور قرار مجلس الأمن الأخير، و لا حتى مع تصريحات الرئيس بوش فى قمة حلف شمال الأطلنطى (الناتو) التى عقدت فى براغ، والتى قال فيها إن هدفنا الأول هو نزع أسلحة الدمار الشامل و ليس تغيير النظام.. فمن الواضح والجلى أن هذه التراجعات والتصريحات كانت تأتى ضمن توجه جديد تبناه بوش وحسم فيه جدالا محتدماً داخل أروقة البيت الأبيض، و يتلخص فى تبنى فكرة بناء تحالف دولى قوى بهدف توفير (شرعية) دولية ضرورية لقرار الحرب هذا.

و يلقى كتاب «حرب بوش» أو «بوش فى حالة حرب» Bush at War للكاتب الصحفى الأمريكى بوب وودوارد ضوءاً على حقيقة الجدال المحتدم داخل إدارة الرئيس بوش الحالية فى كيفية التعامل مع نظام صدام حسين و تهديداته المحتملة.

و بوب وودوارد معروف باطلاعه على خفايا و كواليس البيت الأبيض، و هو يخلص فى كتابه إلى أن الرئيس جورج بوش كان يقف حائراً على رأس حكومة حرب منقسمة على نفسها إلى اتجاهين يتبنيان الحرب كخيار لا بد منه، لكنهما يختلفان فى كيفية تحقيق ذلك.

فعلى جانب، يقف وزير الدفاع دونالد رامسفيلد و من ورائه نائب الرئيس ديك تشينى متبنياً مبدأ الانفرادية Unilateralism فى العمل العسكرى و الذى يفترض أن تقوم

بمقتضاه الولايات المتحدة (منفردة) باحتلال العراق و تغيير نظامه و إدارته بصورة مباشرة حتى تتأكد من خلوه من أسلحة الدمار الشامل و من كل ما يمكن أن يهدد مصالحها فى المنطقة.

وعلى الجانب الآخر، يقف وزير الخارجية كولين باول، و إلى حد ما مستشارة الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى كوندوليزا رايس، متبنياً مبدأ تدويل الصراع (Internationalisn باللجوء إلى تحالف دولى مشابه للتحالف الذى كونه بوش الأب فى حرب تحرير الكويت.

و قرار الحرب هذا لا يمكن التعامل معه بمعزل عن فهم واضح و دقيق لحيثيات التفكير الاستراتيجى الأمريكى فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة و غياب التهديد النووى الذى كان يشكله الاتحاد السوفييتى السابق.. فقد برز فى حينها تياران أحدهما يوصف بالانعزالية (Isolationist) و يدعو إلى الانعزال عن بقية العالم و الاكتفاء بما للولايات المتحدة من قدرات طبيعية و بشرية هائلة و ما تمتلكه من حصانة دفاعية وفرها لها بعدها عن مراكز التوتر فى العالم ... و يحدد هذا التيار العلاقة مع بقية دول العالم فقط بالأمور المشتركة كحماية البيئة و الاتفاقيات البحرية و شئون الفضاء، و يبيح للشركات الأمريكية الدخول إلى الأسواق العالمية بما تنفرد به من تقنيات عالية لا ينافسها عليها أحد.. كما يدعو هذا التيار الانعزالى إلى التخلى عن مبدأ أن للولايات المتحدة مسئوليات (أخلاقية) تحتم عليها القيام بدور البوليس الدولى و يدعو - تبعاً لذلك - إلى تخفيض كبير فى الإنفاق العسكرى وتحويل الجيش إلى قوة دفاعية هدفها حماية أمن وحدود البلاد فقط.

ويضيف الانعزاليون أن سبب العجز الهائل فى ميزان المدفوعات الفيدرالية و الذى فاق إبان نهاية الحرب الباردة مقدار الـ ٤٠٠ تريليون دولار هو نتيجة الإنفاق العسكرى والمساعدات الخارجية التى لا لزوم لها.

و لقد استطاع هذا التيار أن يكون لنفسه قاعدة جماهيرية لا بأس بها شجعت أحد أقطابه (بات بوكانن) إلى الترشيح لمنصب رئيس الولايات المتحدة، و سهلت للمليونير

العجوز (وس بيرو) خوض الانتخابات الرئاسية، و التمكن من تشتيت الأصوات الانتخابية، و التسبب بالتالى فى خسارة رئيس قوى مثل جورج بوش الأب.. كما تمكن وإلى حد كبير من فرض تخفيض ملحوظ فى ترسانة الولايات المتحدة النووية، وساهم فى إغلاق الكثير من القواعد العسكرية داخل الولايات المتحدة و خارجها، كما نجح فى تجميد برامج عسكرية ضخمة مثل برنامج (حرب النجوم) الذى تبنته إدارة الرئيس ريجان.. لكن هذا التيار سرعان ما تراجع و انحسر دوره نتيجة لمحاولات المؤسسة العسكرية و الشركات متعددة الجنسية و الجهود التى بذلتها جماعات الضغط فى الكونجرس كاللوبى الإسرائيلى.

كل تلك المحاولات و الجهود أدت إلى تراجع الانعزاليين لصالح تيار التدخل المباشر (Interventionists) فى الصراعات الدولية، و الذى يتبنى مبدأ أن الولايات المتحدة لا تستطيع الوقوف متفرجة فى هذا العالم الذى هو فى حقيقة الأمر أشبه ما يكون بالقرية الصغيرة.. و أن العلاقات الدولية و المصالح المتشعبة لا تتيح ذلك لدولة مثل الولايات المتحدة و هى القوة العظمى التى تستمد نفوذها ـ و بالتالى مصالحها ـ من حاجة العالم إلى قوتها الضاربة و اقتصادها القوى.. و عليه، فان هذا التيار يدعو إلى حضور دائم فى المحافل الدولية، و أن تلعب الولايات المتحدة دوراً فاعلاً فى حل الأزمات و النزاعات التى قد تؤثر بصورة مباشرة - أو غير مباشرة - على مصالحها، كما ينبغى لها أن تلوح بمخالبها العسكرية أو استخدامها إذا لزم الأمر.

و يحتم هذا التيار على حكومة الولايات المتحدة أن تتبنى و أن تدعم المنظمات الدولية كالأمم المتحدة و البنك الدولى و منظمة التجارة العالمية التى توفر (الشرعية) الدولية اللازمة للقيام بهذا الدور، كما يحتم عليها تعزيز وجودها فى حلف الناتو لكى يوفر لها قواعد عسكرية فى أوروبا و يقدم لها الدعم اللوجستى الضرورى لممارسة دور البوليس الدولى.

وقد ساهم فى تعزيز و تقوية هذا التيار بعض المنظرين الغربيين المرموقين من أمثال صامويل هنتنجتون الذى نبه إلى الخطر الإسلامى القادم فى كتابه الشهير (صراع

الحضارات)، كما ساهمت فى ترسيخ مفاهيم هذا التيار نزعة الهيمنة (Dominance) التى اتسمت بها إدارة بوش الأب الخارجة للتو منتصرة من حرب تحرير الكويت.. فسرعان ما تبنت أطروحة النظام العالمى الجديد لملء الفراغ الذى سببه غياب الاتحاد السوفييتى عن حلبة الصراع الدولى.. و على الرغم من تراجع هذه الأطروحة نتيجة لخروج الجمهوريين و بوش الأب من البيت الأبيض و دخول الديموقراطيين و بيل كلينتون إليه، فإن أطروحة العولمة التى تبنتها إدارة كلينتون الجديدة ساهمت وبالدرجة نفسها فى دعم و تقوية تيار التدخل المباشر هذا.

وعلى كل حال فان كلتا الأطروحتين تبنتا سياسة الهيمنة الأمريكية، إلا أن الأولى تركز على الأسس والأساليب العسكرية، فى حين تركز الثانية على أسس اقتصادية واجتماعية.

و هكذا، فوفقاً لهذه المعطيات الاستراتيجية التى اختطتها الولايات المتحدة لنفسها فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ومحاولاتها فرض الأمر الواقع المتأتى من كونها قوة القطب الواحد على المسرح الدولى، ووفقاً للمعطيات الجديدة التى فرضت نفسها بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر.. يتأكد لنا كما يقول بوب وودوارد مدى جدية إدارة الرئيس بوش فى المضى قدماً فى قرار الإطاحة بنظام صدام حسين ... لكن يبقى السؤال الأهم فى معادلة التغيير، و هو المتعلق بطبيعة الخريطة السياسية فى عراق ما بعد صدام حسين، و هو سؤال يبدو أن الولايات المتحدة غير معنية - فى هذا الظرف على أقل تقدير - بالتعامل معه، وبالتالى يعجز حتى أطراف المعارضة المتماشون مع القرار الأمريكى عن الإجابة عنه.

□□□

1

صباح الكارثة

حرب بوش

Bush at War

وعندما كان باول رئيساً للأركان.. كتب بعضاً من أقواله المأثورة ووضعها تحت زجاج مكتبه، وكان أحدها يقول: لا تدع أحداً يراك وأنت تعرق !!

طلع نهار الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الساحل الشرقى للولايات المتحدة كواحد من تلك الأيام المثيرة التى عادة ما تسبق فصل الخريف، مشمس بحرارة معتدلة و رياح خفيفة و سماء مائلة للزرقة، و كان الرئيس الامريكى جورج دبليو بوش فى طريقه إلى فلوريدا ذلك الصباح للترويج لأجندته التعليمية، و لم يكن على رئيس استخباراته جورج تينيت أن يقوم فى هذا اليوم بإجراء الطقوس إليومية المعتادة من حيث تقديم تقريره المختصر إلى الرئيس فى تمام الثامنة صباحاً والذى يحوى أهم و آخر المعلومات عالية السرية و التى ترد إليه من جواسيسه التابعين لامبراطوريته الاستخبارية الضخمة.

وبدلاً من ذلك أخذ تينيت البالغ من العمر - آنذاك- ٤٨ سنة، و المنحدر من صلب أبوين كانا قد هاجرا للولايات المتحدة من اليونان، يستمتع بإفطاره فى فندق سانت ريجيس، الذى يقع على بعد ثلاث بنايات إلى الشمال من البيت الأبيض ، مع الرجل المسئول عن بزوغ نجمه فى عالم المخابرات السرى، السيناتور الديمقراطى ديفيد بورين. و كان الرجلان قد توطدت عرى الصداقة بينهما منذ ١٣ سنة، أى عندما كان تينيت موظفاً من المستوى المتوسط فى لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ التى كان يترأسها بورين آنذاك.. و لقد وجد بورين فى تينيت الموهبة و من ثم عمل على تصعيده فوق زملائه بالقدر الذى جعل من تينيت مديراً عليهم، و هو مركز كان يضمن لهذا الأخير أن يطلع مباشرة على أدق أسرار أمريكا.

وبعد ذلك، وفى ١٩٩٢ رشح بورين تينيت للرئيس المنتخب آنذاك بيل كلينتون، و رجاه أن يعينه على رأس فريقه الانتقالى فى شئون الاستخبارات، و فى العام التالى تم تعيين

تينيت كمدير لموظفى مجلس الأمن القومى لشئون المخابرات، أى أنه كان المسئول عن التنسيق بين شئون كل أجهزة المخابرات و بين البيت الأبيض، بما فى ذلك العمل السرى.. و فى عام ١٩٩٥، عينه الرئيس بيل كلينتون نائباً لمدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية C.I.A، وبعد ذلك بعامين عينه مديراً للاستخبارات المركزية للإشراف على كل أجهزة الاستخبارات فى الولايات المتحدة.

و لأسباب تتصل بحماسته فى العمل، أصيب تينيت بأزمة قلبية عندما كان مدير شئون الاستخبارات لموظفى مجلس الأمن القومى، و هو أمر كان من شأنه أن يجعله متقلب المزاج أحياناً، و خلال فترة الرئاسة الثانية للرئيس كلينتون، وذات مرة.. عندما كان تينيت رئيساً للـ (سى. آى. إيه) انفجر بالصراخ فى اجتماع لجنة رئيسية كانت تضم وزراء الخارجية و الدفاع و لم يكن الرئيس حاضراً أعمالها، إذ ظن آنذاك أن هذا الاجتماع قد يبقيه طويلاً فيمنعه عن حضور حفل الكريسماس الذى كانت تقيمه المدرسة التى يدرس فيها ولده، و من ثم صرخ بالحاضرين : اللعنة عليكم، سأغادركم.. و غادرهم بالفعل !!.. و لكن تينيت تعلم منذ هذه الواقعة كيف يضبط أعصابه.

و بحلول ٢٠٠١ تقريباً، اتصل النائب بورين بالرئيس المنتخب جورج بوش، ليمتدح له تينيت كشخصية غير حزبية و رجاه أن يبقى عليه مديراً لوكالة الاستخبارات المركزية، وقال له : اسأل والدك عنه، و عندما استشار بوش الابن أباه، قال له الرئيس الأسبق : على حد سمعى فهو رجل جيد !!.. و كان تينيت قد ساعد بوش الأب خلال ترشيح روبرت جيتس لرئاسة المخابرات المركزية الامريكية عام ١٩٩١ وقد قال بوش الأب لولده أيضاً إن أهم عمل يتوجب عليه كرئيس جديد للبلاد أن يقوم به يومياً هو أن يطلع على تقرير الاستخبارات.

و منذ الأيام الأولى التى تولى خلالها رئاسة موظفى لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ، كان تينيت قد طور فهمه الخاص بأهمية العنصر البشرى فى الاستخبارات فى عصر تضطرم فيه المعلومات من خلال التجسس الإليكترونى، سواء من خلال الهاتف أو

من خلال التلكس و وسائل اختراق الاتصالات و فك الشفرة و صور الأقمار الصناعية والرادارات ، و هى أمور دفعت بوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية إلى جعل الاستخبارات البشرية فى مرتبة أدنى، و لكن تينيت مع ذلك تمكن من تجنيب بعض من التمويل الحكومى لحساب الاستخبارات البشرية و تدريب ضباط العمليات بالمخابرات، وهم أفراد الخدمة السرية الذين يعملون فى الخفاء و يقومون بتجنيد الجواسيس والعملاء من الحكومات الأجنبية و يدفعون لهم الأموال، و هذه الفئة الأخيرة تسمى فى عالم المخابرات (المعاونين) أو (المصادر).

ولقد كان تينيت على بينة من أنه بدون ضباط عمليات فلن تكون هناك مصادر بشرية توفر المعلومات الاستخبارية و لن يكون متاحاً اختراق الحكومات أو جماعات المعارضة أو غيرها من المنظمات فى الخارج، فكلما شحت المعلومات الداخلية ندرت فرص العمل السرى، و برغم أن العمل السرى بهدف التأثير على البلاد الأجنبية يعد أحد واجبات وكالة المخابرات المركزية، فإن الوكالة مع ذلك تعرضت كثيراً للتضليل وللفشل خلال السنوات السابقة.

لقد كان الاهتمام بضباط العمليات هو أهم الخطوات التمهيدية، و مع ذلك ففى التسعينيات لم يتم إعداد سوى ١٢ ضابطاً تمهيداً لحضور برنامج مكثف داخل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية مدته عام كان يدعى برنامج (المزرعة) فى ريف فرجينيا، و فى ٢٠٠١ كان لدى تينيت عشرة أضعاف هذا العدد يجتازون مراحل التدريب فيما اعتبر قفزة هائلة، و قد تم التحضير لزيادة أعداد رجال الاستخبارات البشرية و تيسير العمل السرى حالة إصدار الرئيس أوامره بذلك، و قد تم كل ذلك أثناء فترة حكم الرئيس كلينتون.

وخلال إفطارهما صباح ١١ سبتمبر، قال بورين لتينيت : ما الذى يشغل بالك هذه الأيام؟.. فرد عليه الأخير بالقول : بن لادن !!.. فى إشارة لذلك السعودى المنفى الذى يعيش فى أفغانستان و مؤسس شبكة القاعدة الدولية، مشيراً إلى أنه على اقتناع بأن بن

لادن يخطط لعمل كبير.. و هنا رد عليه بورين مواسياً: أوه.. جورج !!.. ذلك أن بورين ظل لعامين كاملين يستمع إلى شكوك تينيت بخصوص بن لادن، و كان يتساءل دوماً كيف يمكن لشخص عادى يعيش دون عون من حكومة أجنبية أن يمثل خطراً بهذا القدر ؟

و هذه المرة رد عليه تينيت بقوله: إنك لا تفهم مدى القدرة و الاقتدار الذى يحوزه ومن معه..، و الحق أن بورين كان يشفق على صديقه من أن يتولد لديه هاجس مرضى بشأن بن لادن، فقبل عامين، و قبيل احتفالات الألفية الثانية اتخذ تينيت خطوة طائشة كبيرة عندما حذر بورين شخصياً ألا يتواجد فى الأماكن العامة فى نيويورك عشية احتفالات رأس السنة لما يمكن أن يحمله هذا اليوم من أخطار.

و كان تينيت مؤخراً قد أسفر عن ظنونه من وقوع هجمات خلال الاحتفالات التى أقيمت فى ٤ يوليو ٢٠٠١، و برغم من أنه لم يكشف عنها شخصياً لبورين، الا أنه كان على بينة من معلومات تلقاها من خلال ٣٤ تسجيلاً لمكالمات عدد كبير من معاونى بن لادن خلال الصيف نفسه و كلها كانت تؤكد أن (ساعة الصفر موعدها الغد) أو أن (شيئاً كبيراً سيحدث)، و كان بحوزته العديد من العبارات غير هاتين تم التقاطها من خلال أنظمة التجسس الإليكترونية و من خلال عدد من التقارير بشأن التهديدات و كلها دفعت تينيت لاتخاذ أقصى درجات الحذر، لكن تبدو فى الأفق نذر هجمات مؤكدة على السفارات الأمريكية بالخارج أو على تجمعات السائحين الأمريكيين، لكن المعلومات الاستخبارية التى كانت بحوزته لم تؤكد بدقة متى أو أين أو بأى وسيلة ستقع هذه الهجمات... و مع ذلك فقد مر الحدث دون وقوع أى شىء رغم توكيد تينيت أن هذه المسألة أفقدته القدرة على النوم.

وفجأة... اقترب عدد من رجال حرس تينيت من المائدة، و قال أحدهم : سيدى المدير لدينا مشكلة خطيرة.

رد تينيت على القائل – و هو يشير لأحدهم بأن يتكلم علناً دون أن يتحسب من بورين: وما هى ؟

رد الحارس : لقد تمت مهاجمة مركز التجارة العالمى.

بعدها قام أحدهم بتسليم تينيت هاتف محمول ليتصل بمقر القيادة ليتساءل تينيت بانزعاج شديد غير مصدق : هل صحيح أنهم فجروا الطائرة بالمبنى ذاته ؟!!

بعدها أصدر أوامره لأهم رجاله للتجمع على الفور فى مقر قيادة وكالة الاستخبارات المركزية، و قال إنه سيكون هناك بعد نحو من ١٥ إلى ٢٠ دقيقة ... ثم التفت إلى بورين ليقول له :لا بد و ان بن لادن وراء ماحدث.. اعتقد أنه يتوجب علىّ الرحيل الآن، كما أظهر رد فعل آخر، من نوع يظهر أن هناك احتمالية حقيقية لأن تكون وكالة المخابرات المركزية و مكتب التحقيقات الفيدرالية لم يفعلا كل ما يتوجب عليهما القيام به لمنع الهجوم الارهابى، و هو الأمر الذى ظهر من قول تينيت : إننى فى شك من أن يكون للأمر صلة بالرجل الذى كان يحضر دروس الطيران، مشيراً هنا إلى زكريا موساوى المواطن الفرنسى من أصل مغربى و الذى كان مكتب التحقيقات الفيدرالية يحتجزه فى مينيسوتا فى الشهر السابق، بعدما أظهر سلوكاً مريباً فى مدرسة محلية لتعليم الطيران

لقد كانت وكالة الاستخبارات المركزية تتعقب بن لادن لأكثر من خمس سنوات، و قد كثفت من نشاطاتها بشأنه بعد التفجيرات الإرهابية التى جرت للسفارتين الأمريكيتين فى كينيا و تنزانيا عام ١٩٩٨ و التى أعلن بن لادن مسئوليته عنهما و التى خلفت من وراءها ٢٠٠ قتيل.. فى ذلك الوقت وجه الرئيس كلينتون قواته لإطلاق ٦٦ صاروخ كروز على معسكرات التدريب الإرهابية فى أفغانستان، و بالذات على الموقع الذى كان من المعتقد أن بن لادن يعقد فيه اجتماعاً على مستوى عال مع معاونيه، لكن بن لادن فيما يبدو غادر الموقع قبل ساعات من وصول القذائف إليه.

و فى ١٩٩٩، شرعت وكالة المخابرات المركزية فى عملية سرية تم خلالها تدريب ٦٠ من أفراد القوات الخاصة التابعة لوكالة الاستخبارات الباكستانية من أجل دخول أفغانستان و إلقاء القبض على بن لادن، و لكن العملية أجهضت بسبب وقوع انقلاب عسكرى فى باكستان، و كانت هناك خيارات أكثر خطورة و طموحاً موضع دراسة خلال العديد من الاجتماعات التى عقدها كبار مسئولى الأمن القومى فى إدارة الرئيس كلينتون

ومن هذه الخيارات عملية سرية تقوم بها إحدى المروحيات ليلاً للهجوم على بن لادن من خلال وحدة صغيرة من أبرز عناصر وحدات القوات الخاصة الأمريكية تتكون من نحو ٤٠ رجلاً، و كانت الخطة تتضمن إعادة التزود بالوقود جواً حيث كان من المقرر أن تقطع المروحية زهاء ٩٠٠ ميل، و لكنهم قالوا إن العملية تشبه "عملية صحراء واحد" التى أمر بها الرئيس كارتر عام ١٩٨٠ لتحرير الرهائن المحتجزين فى إيران و التى ارتطمت فيها عدة طائرات فى الصحراء، و تحدثوا عن سقوط مروحيين من طراز بلاكهوك فى الصومال خلال مهمة عام ١٩٩٣ و التى أفضت لمصرع ١٨ أمريكياً، و قال مسئولون بالجيش الأمريكى أن أى غارة على بن لادن قد تفشل و تفضى لخسائر فادحة فى الأرواح، كما أظهرت تقارير المخابرات بدورها أن بن لادن أبقى على عائلات كبار ضباطه فى بطانته، و أن كلينتون كان يعارض بشدة أى عملية ينجم عنها قتل نساء و أطفال.

ومع ذلك فقد تم وضع وحدة من القوات الأمريكية الخاصة و غواصة قادرة على اطلاق صواريخ كروز على أهبة الاستعداد، وإن كانتا (الوحدة الخاصة و الغواصة) فى احتياج لصدور أوامر سابقة على تحركهما بست إلى عشر ساعات بشأن الموقع الذى سيستقر فيه بن لادن.

على أن أهم الأسرار التى حرصت وكالة الاستخبارات المركزية على إبقائها طى الكتمان، كانت هى وجود ٣٠ عميلا أفغانيا كانوا يعملون لحسابها، و كان يطلق عليهم مجموعة الكبار أو Seniors /GE وكان يتم دفع الأموال لهم على مدار ثلاث سنوات سابقة لمجرد إقتفاء أثر بن لادن، و كان بمقدور هذه المجموعة، التى كانت تتقاضى ١٠ آلاف دولار شهرياً، أن تعمل معاً أو أن تنقسم إلى جماعات متناهية الصغر تتكون كل منها من ٥ أفراد.. و كان لوكالة المخابرات المركزية اتصال يومى آمن مع هؤلاء (الكبار)، و كانوا مزودين بشاحنات و موتوسيكلات، لكن مع الوقت أصبح تعقب بن لادن يزداد صعوبة، فقد كان يتحرك فى مواعيد غير منتظمة، و كان يغادر مكمنه فجأة ليلاً.

ولقد كانت مجموعة الكبار فيما يبدو بمقدورها تحديد موقعه أغلب الوقت، و لكن لم يكن بمقدورهم توفير معلومات استخبارية ذات نفع يمكن بناء قرار التحرك عليها، أو يمكن

القول بثقة من خلالها إن بن لادن سيكون متواجداً فى المكان بعينه للمدة الكافية لاطلاق صاروخ كروز على موقعه، و لقد فشلت وكالة الاستخبارات المركزية فى تجنيد جاسوس موثوق به فى محيط بن لادن بحيث يمكنه إطلاع المخابرات على خطط تحركاته.

و لقد كان هناك فى جهاز الأمن القومى و حتى فى فريق عمل البيت الابيض فى ظل رئاسة كلينتون من يتشكك فى مجموعة الكبار، لأنه كان كثيراً ما يحدث أن تتناقض وتتضارب معلوماتهم الاستخبارية بشأن موضع بن لادن، و من ثم كان هناك من يتم قطع التعامل معه منهم و من غيرهم من المعاونين فى أفغانستان.

لكن الحقيقة أنه لا كلينتون و لا بوش - حتى هذه اللحظة- قد أعطى وكالة المخابرات المركزية التفويض الحاسم بإرسال الكبار أو غيرهم من معاونى جهاز المخابرات المركزية المأجورين لقتل أو اغتيال بن لادن، ذلك أن الحظر الرئاسى لعمليات الاغتيالات، و الذى كان الرئيس جيرالد فورد أول من وقع على قرار بشأنه، كانت له قوة القانون.

و خلال مرحلة معينة، كان قائد مجموعة الكبار الأفغان قد التقى مراراً برئيس محطة وكالة الاستخبارات المركزية من اسلام أباد - باكستان- الذى كان يسيطر عليهم ويدفع لهم الأموال، و قد أوضح قائد المجموعة الأفغانية أنه أطلق الرصاص باتجاه مبعوث لبن لادن فى واقعتين كنوع من الدفاع عن النفس، و هو أمر كان مصرحاً به، و لكنه كان يريد أن يتعقب مبعوث بن لادن بطريقة خفية بحيث يقيم كميناً يطلق خلاله الرصاص على الجميع و من ثم يلوذ بالفرار، لكن مدير محطة المخابرات الأمريكية ظل يرد على مسامعه رفضه قائلاً : ليس بمقدورك أن تفعل ذلك، ففيه انتهاك للقانون الأمريكى.

و هكذا، بالنظر إلى حجم الأموال التى أتيحت، و مصادر العمل السرى و المناخ العام، كان تينيت على يقين بأن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية قد قامت بكل ما بوسعها أن تقوم به، و إن لم يطالب بإحداث أى تغيير فى القواعد، فهو لم يطلب من الرئيس كلينتون أن يصدر أوامره للاستخبارات للسماح لمجموعة الكبار الأفغان بإطلاق هجوم على

بن لادن.. فلقد كان يعتقد أن المحامين فى وزارة العدل أو فى البيت الأبيض سيرفضون، على أساس أن ذلك من شأنه أن يمثل انتهاكاً لحظر الاغتيالات، ومن ثم كان يستشعر أنه مكتوف الأيدى من قبل الاتجاه الحمائمى للرئيس كلينتون و مستشاريه، فلقد كان كل شىء غارقاً لأذنيه فى القانونية لدرجة الموت، و لكنه بدوره كان قد أسهم فى هذا المناخ خلال خدمته على مدار خمس سنوات و نصف السنة فى إدارة الرئيس كلينتون.

لقد كان كل ما يمكن للقواعد أن تسمح به هو مجرد القبض على بن لادن و تسليمه لرجال العدالة، و هى عملية تعرف قانوناً بعملية (الأداء) و كان القيام بعملية ضخمة لتنفيذ هذه المهمة ممكناً رسمها فحسب على السبورة، إذ كان تينيت على اقتناع بأن بن لادن لن يسمح لنفسه بأن يتم القبض عليه حياً، و من هنا فإن مثل هذه العملية، حتى و لو نجحت، فسوف تفضى لموته.

لكن كل خبراء وكالة الاستخبارات المركزية فى مديرية العمليات كانوا يعتقدون أن مثل هذه العملية لن تنجح، و أنها قد تفضى لمصرع عدد كبير من البشر، ليس منهم بالضرورة بن لادن.. و من هنا فقد وافقهم تينيت، و لم تذهب العملية لأبعد من هذا الحد.. و كان السعوديون قد اقترحوا على المخابرات الأمريكية إلصاق جهاز صغير بأغراض والدة بن لادن التى كانت تغادر السعودية لزيارة ولدها فى أفغانستان من أجل تعقب تحركاتها وتحديد موقع بن لادن، لكن اقتراحهم أيضاً قد تم رفضه على أساس خطورته العالية وعدم احتمال نجاحه.

وفى التاسعة و خمسين دقيقة، و عندما كان تينيت فى مكتبه بالدور السابع بقيادة وكالة الاستخبارات المركزية، كانت طائرتان مدنيتان قد اصطدمتا ببرجى مركز التجارة العالمى و ثالثة قد ارتطمت بمبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)، و كانت رابعة مختطفة قد سقطت فى بنسلفانيا.. وكانت على ما يبدو فى طريقها لمنطقة واشنطن.

وكانت التقارير تغمر منظومة الاستخبارات لتفيد بأن الأهداف المقبلة ستشمل البيت الأبيض و مبنى الكابيتول و وزارة الخارجية، و كان مقر وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية التى تمثل معلماً واضحاً بالقرب من نهر البوتوماك.. بدوره من الأهداف

المحتمل استهدافها، لقد كان المحققون يعلمون من رمزى يوسف، أحد إرهابيى القاعدة والمسئول عن أول هجوم إرهابى على مبنى مركز التجارة العالمى فى ١٩٩٣، أنه كان يخطط لقيام طائرات مشحونة بالمتفجرات بالانقضاض على مقر وكالة المخابرات المركزية.. ومن هنا أمر تينيت كبار قادته : علينا أن ننقذ أرواح رجالنا، و علينا إخلاء المبنى على الفور...، و كان تينيت يريد من الجميع الخروج - بما فى ذلك المئات من رجال مكافحة الارهاب - إلى الملاجىء محكمة الاغلاق أسفل المبنى.

و كان كوفير بلاك رئيس مركز مكافحة الارهاب ينظر إلى هذه الأوامر بتشكك كبير ويكثر من هز رأسه، و كوفير البالغ من العمر ٥٢ سنة هو أحد ضباط العمليات السرية السابقين و يعتبر أسطورة من أساطير وكالة الاستخبارات المركزية، فقد أسهم عام ١٩٩٤ فى القبض على كارلوس الذى كان يعد أشهر الارهابيين الدوليين قبل أن يحظى بهذه المكانة أسامة بن لادن، و كوفير بلاك هذا شعره خفيف و يرتدى نظارات سميكة ويحمل وجهاً شديد الشبه بكارل روف رئيس المخططين الاستراتيجيين للرئيس بوش ويعود انتماؤه للوكالة الاستخباراتية لذلك الزمن الذى كانت هذه الوكالة فيه تعج بالملونين، و فى الوقت الذى يشير فيه أغلب العاملين بالوكالة إلى تينيت باسمه الأول، كان بلاك ينتمى للمدرسة القديمة، فقد كان يدعوه بالسيد المدير أو بكلمة : سيدى.

و هكذا قال بلاك لتينيت : سيدى، يتوجب علينا إعفاء مركز مكافحة الارهاب من أوامرك لأننا نحتاج رجالنا فى إدارة أجهزة الكومبيوتر، فرد عليه : حسناً، و لكن رجال مركز الاستجابة الدولية سيكونون فى خطر (مشيراً بذلك إلى ثمانية أفراد يشغلون حيزاً لهذا القسم فى الدور السادس، و مهمتهم أن يقوموا بجمع أحدث المعلومات الاستخبارية بشأن الارهاب حول العالم) و هنا رد عليه بلاك : برغم أهمية الملحوظة إلا أن عليهم الا يغادروا مواقعهم، و مع ذلك أصر تينيت: لا بد من إخراج هؤلاء الناس على الفور.

- لا ياسيدى، ينبغى علينا أن نتركهم فى مواقعهم لأن وظيفتهم الرئيسية أن يلعبوا أدوارهم فى أزمات من نوعية تلك التى نواجهها، لقد أنشأنا هذا المركز للعمل فى هذا الظرف تحديداً.

ـ و لكنهم قد يلقون حتفهم !!

ـ سيدى، إن كانوا سيموتون فإن هذا هو واجبهم

و هنا توقف تينيت للحظات

إن مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية من ذلك الصنف الذى يبدى أبوة حانية على الآلاف من رجاله الذين يعملون هناك، و فى الثقافة الشعبية و بالنسبة للعديد من الناس فى واشنطن، تعد وكالة الاستخبارات المركزية مؤسسة خرية و لا لزوم لها على أفضل تقدير، و الحق أن ما كان تينيت يحاول حمايته كان يعد كياناً يعيش أجواء التهديدات و المخاطر بالأساس..

ومن هنا جاء أخيراً رد تينيت على بلاك : إنك محق تماماً، و الواقع أن القواعد التى كانوا جميعهم يتبعونها قد تغيرت هذا الصباح بموت الآلاف فى مدينة نيويورك و فى مبنى البنتاجون.

وكان بلاك قد لمس عصباً مهماً، فأفراد جهاز المخابرات الأمريكية، بما فيهم تينيت، كانوا جميعهم ينضجون أمام عينيه خلال فترة قصيرة نسبياً، و كانوا يتحولون من نمط البيروقراطية لنمط تقبل المخاطر لدرجة الموت، و من ثم لم يظهر بلاك دهشة على الاطلاق من الهجوم، و لكنه أظهر صدمته من عدد الضحايا.

وخلال الأعوام الثلاثة التى قضاها فى رئاسة قسم مكافحة الارهاب، كان بلاك قد استنتج أنه إن لم يكن رئيس هذا القسم أكثر عدوانية من رؤسائه، فلسوف يحلون الشخص الخطأ محله، و لقد سبق لبلاك أن عمل ضد تنظيم القاعدة عندما كان رئيساً لمحطة المخابرات الأمريكية فى الخرطوم (السودان) و كان هدفاً لهجوم فاشل استهدف اغتياله فى عام ١٩٩٤، و قد أظهر بعضاً من عدوانيته و اقترح بعضاً من الخطط المسلحة لاغتيال بن لادن إلا أنها رفضت بأكملها و لو كان المناخ مختلفاً لكانت مقترحاته كلها حتمية التنفيذ.. الا أن كل شىء.. تغير الآن، حيث أمر تينيت بإخلاء كامل المبنى، باستثناء أفراد مركز الاستجابة الدولية.

وفى ليما (بيرو) كان كولن باول وزير الخارجية قد جلس لتوه لتناول إفطاره لهذا الصباح مع الرئيس الجديد إليخاندرو توليدو، و كان باول هناك لحضور اجتماع منظمة الدول الامريكية، و قد شارك فى عدد من الفعاليات التى ضمت وزراء خارجية و قادة ٣٤ دولة من دول المنطقة، و هى كامل دول المنطقة باستثناء كوبا التى كان لا يمكن دعوتها لحضور مثل هذه الاجتماعات.

و كان توليدو يواصل النقاش حول حصص تصدير الصلب لأمريكا، عندما فتح جريج كيلى المساعد التنفيذى لباول الباب فجأة ليدفع بورقة مكتوبة إلى باول كان نصها : طائرتان مدنيتان ارتطمتا بمركز التجارة العالمى، و هنا تبين باول أن ارتطام (طائرتين) ليس من أعمال الحوادث العارضة، و من هنا كان باول قد اتخذ قراره بضرورة العودة فوراً للوطن و من ثم قال لكيلى أن يجهز الطائرة للعودة.

وبرغم أن تحضير الطائرة كان من الممكن أن يستغرق نحو الساعة إلا أن باول اضطر لقطع الاجتماعات، و بعدها ظل عدد من وزراء خارجية الدول يلقون خطباً يظهرون من خلالها التعاطف البالغ، و بعد عدة دقائق كان على متن الطائرة يستخدم جهاز ارسالها، و هو أمر يعنى أنه قام بإجراء استثنائى لأن الاتصالات من الطائرة غير آمنة، و لقد اتصل بريتشارد أرميتاج نائب وزير الخارجية و أحد أفضل أصدقائه و لقد تحدثا عدة مرات و لكن مضمون الحوار كان يحوى الكثير من خيبة الرجاء، و كان أرميتاج الذى تخرج فى الأكاديمية العسكرية البحرية عام ١٩٦٧ قد خدم لأربع سنوات فى فيتنام و كان مساعداً لوزير الدفاع فى إدارة الرئيس ريجان، و هو رجل لبق مفتول الصدر والعضلات، و حتى قبل أن يحظى أرميتاج بمنصبه فى وزارة الخارجية، كان يتحادث هاتفياً لمرات عديدة يومياً مع باول، و قد قال عنه باول ذات مرة :اننى أأتمنه على حياتى و على أولادى و سمعتى و كل ما أملك.

على رأس قائمة الأشياء التى يكرهها كولن باول ألا يكون فى الصورة، و عموماً تعد ادارة الأزمة أهم جزء فى عملية صنع السياسات فيما يتعلق بالأمن القومى، و بصرف النظر عن طريقة تشكيل فريق الأمن القومى التابع للرئيس أو للبيت الأبيض لوجهة

النظر التى يريدون فرضها على صنع السياسات فإن هناك معايير بعينها يقوم الناس بالتصرف بها فى اللحظات الكبرى، فالأزمة توفر الخطر الأعظم و الفرصة الأعظم.. كذلك.

و عندما كان باول فى سن ٤٦، شغل لثلاث مرات مقعداً فى غرفة البيت الأبيض لتقدير الموقف، فقد كان مستشار الأمن القومى للرئيس ريجان لمدة عام، ثم رئيساً لهيئة الأركان المشتركة للرئيس بوش الأب خلال حرب الخليج، و هو الآن وزير الخارجية للرئيس بوش الابن لنحو تسعة أشهر.

و كان تقرير قد ورد بأن طائرة أخرى قد أغارت على البنتاجون، و كذلك وردت تقارير غامضة و دارت شائعات بشأن طائرات من أنواع أخرى فى أماكن متفرقة، و من ثم بدأ باول فى تخطيط بعض الملاحظات لنفسه، و من بين هذه الملاحظات كتب : ما الذى سيكون رجالى مسئولين عن القيام به حيال هذه الأزمة ؟ و كيف سيرد العالم والولايات المتحدة معه على ما حدث ؟ و ماذا عن موقف الأمم المتحدة ؟ وماذا عن حلف شمال الأطلنطى (الناتو) ؟ كيف يمكننى البدء فى مناشدة الجميع ؟

لقد مرت الساعات السبع التى قضاها معزولاً و كأنها دهر لرجل كان ذات يوم قائداً للأركان.

ففى عام ١٩٩٥، كان باول الذى أتم عامين على تقاعده قد فكر فى السعى لمنصب الرئيس، آنذاك كتب سيرته الذاتية فى كتاب كان عنوانه (رحلة أمريكية) و كان هذا الكتاب الأكثر مبيعاً على مستوى الولايات المتحدة وقت صدوره، و لقد كان باول فى قلب الحياة السياسية الأمريكية و كان قاب قوسين أو أدنى من ترشيح الجمهوريين له لدخول معترك السباق على منصب رئيس الولايات المتحدة و كان المنصب على مرمى حجر منه. لكن أرميتاج كان ضد هذا الاتجاه، و لقد نصحه كصديق بقوله : إن هذه المسألة لا تستحق هذا العناء و كذلك لا أعتقد أنك على استعداد لتحمل هذا العبء، فى إشارة لأعباء الحملة الانتخابية التى كان يكره باول تماماً كل تفصيلاتها لما تحويه من تفاصيل (كل أمر سيىء يمكن للمرء تخيله).. كذلك يعرف الجميع أن زوجته (ألما) كانت تقف ضد

هذه الرغبة، لكن الذى ظل فى طى الكتمان هو أن زوجته قالت له بصراحة إنه إذا ما دخل معترك السباق على الرئاسة فإنها ستهجره، و أنها كانت تخشى على حياته من أن يتعرض لهجوم أو أن يطلق أحدهم عليه الرصاص، أما مسألة السعى لمنصب الرئيس وأن يصبح زوجها رئيساً لولايات المتحدة و أن تصبح هى سيدة أمريكا الأولى فهى لم تكن شيئاً مما أرادت هى لحياتها و هكذا قالت له : اذهب إلى ما تريد وحدك.

و بعد أن فاز بوش بترشيح الجمهوريين له لمقعد الرئاسة عام ٢٠٠٠، قرر باول أن يشارك فى الحملة لمعاونة بوش، و قد سعى الكثيرون من أجل أن يظهر مع بوش مهما كلفه الأمر، و يكاد يكون كل الجمهوريين قد ظهر فى مناسبة أو أخرى إلى جواره، إلا باول.. الذى كان الجميع يريد أن يفهم منه التوجهات المقبلة و ما الذى يتوجب قوله و ما هى الأهداف السياسية التى يتوجب إحرازها.. لقد كان باول فى النهاية هو القاطرة التى جرت بوش باتجاه الهدف و كان باول منذ الوهلة الأولى لانتخاب بوش رئيساً للولايات المتحدة هو الخيار المؤكد لمنصب وزير الخارجية، و لقد أشاع باول نفسه أنه سيقبل منصب وزير الخارجية داخل دائرة المقربين منه، و ساد شعور عام آنذاك أن الناخبين سيتخيرون فريقاً كاملاً - لا مجرد الرئيس و نائب الرئيس ديك تشينى وزير الدفاع الأسبق، و إنما أيضاً كولن باول.

و عندما أعلنت المحكمة العليا فوز الرئيس بوش بفارق ٥٣٧ صوتاً فى فلوريدا، كان مستشارو باول على يقين من أن رئيسهم قد أضاف بشخصيته إلى هامش النصر مرات عديدة.

وخلال الأشهر الأولى التى قضاها كوزير للخارجية، لم يكن باول حقيقة جزءاً من الدائرة الشخصية المقربة من بوش و لم يكن له القرب ذاته الذى أحرزه غيره من دائرة الرئيس، و لقد تبادل بوش و باول النقاش و الممازحة مع الغير كثيراً و لكنهما لم يتبادلاه فيما بينهما.

وفى كل مرة كان باول يتحرك كوجه عام للإدارة، كانت كل الملابسات تبقيه فى الظل إعلامياً، حتى عندما وقعت أزمة إبريل من عام ٢٠٠١، عندما تم اعتراض طائرة تجسس

أمريكية بالقرب من السواحل الصينية، و تم إرغامها على الهبوط و احتجزت الحكومة الصينية طاقمها المكون من ٢٤ فرداً، و كان من المهم وقتها أن يتم التصرف و كأنه لا توجد أزمة رهائن، فلقد كان المسئولون فى البيت الأبيض قد عقدوا العزم على إبقاء الرئيس بوش خارج الموضوع، خشية أن يتورط عاطفياً أو تفاوضياً، و كان ماثلاً فى أذهان الجميع تلك الدروس التى تم استخلاصها من أزمة الرهائن فى إيران و التى شلت قدرة الرئيس كارتر، و كيف تحول موقف الرهائن الأمريكيين فى بيروت إلى عقدة للرئيس ريجان فى منتصف الثمانينيات.

و من ثم تم تحويل القضية إلى كولن باول، الذى نجح تماماً فى الظفر بإطلاق سراحهم بعد ١١ يوماً، لقد كان نصراً كبيراً، و مع ذلك فإن البيت الأبيض لم يشأ أن ينسب الفضل إليه فى هذا النصر على شاشات التليفزيون !!

لقد كان باول و أرميتاج يتندران على مثل هذه المواقف بقولهم أن باول جاهز دائماً فى الثلاجة لاستخدامه وقت الضرورة !!

و قبل أسبوع من أحداث ١١ سبتمبر، صدرت مجلة تايم و على غلافها عنوان يقول : كولن باول.. أين ذهبت ؟، و ذكرت المجلة أن باول خلف من ورائه بصمات خفية على السياسة الأمريكية بعدما خسر جولته أمام المتشددين بالإدارة الأمريكية، و كان محتوى الموضوع يمثل سبقاً حيث تسابق المسئولون فى البيت الأبيض للتعاون مع المحررين لإظهار المدى الذى كان يعمل من خلاله باول بكفاءة و فاعلية، و تحت الضغوط فى أحايين كثيرة، من على الهامش.

و عندما كان باول رئيساً للأركان.. كتب بعضاً من أقواله المأثورة و وضعها تحت زجاج مكتبه، كانت إحداها تقول : لا تدع أحدهم يراك.. و أنت تعرق !!

□□□

2 حرب العلاقات العامة

Bush at War

حرب بوش

كان منطقياً أن يدخل الرئيس بوش قاعة الاجتماعات فى البيت الأبيض ويواصل الاجتماع اليومي قائلاً:

«أيها السادة.. إننا نخسر حرب العلاقات العامة»..



كان بوش يعتز بأن إدارته تنتهج الأسلوب اللائق بالولايات المتحدة بوصفها أكبر قوة في العصر، أسلوب التفكير البانورامي، وأسلوب التصرف على أساس الكبرياء والعزم والحسم الجدير بامبراطورية باذخة، لكن ها هي شبكة «بي. بي. اس» القومية تقول ان بوش يفكر على طريقة بيل كلينتون «على الضيق» متوخياً طموحات صغيرة وأهدافاً شديدة التواضع وقرارات لا تعكس الحزم ولا الحسم بقدر ما تفوح منها رائحة التردد والخلط والارتباك.

وبلغ الهجوم القاتل ذروته عندما نشرت «نيويورك تايمز» يوم ٣١ أكتوبر ٢٠٠١ مقالاً للكاتب« ر. آبل» يستهله بسؤال مسموم هو: «هل يمكن أن تصبح أفغانستان هي فيتنام الأخرى؟ وهل باتت الولايات المتحدة تواجه طريقاً مسدوداً آخر عند الجانب الآخر من العام؟ قد تكون تلك تساؤلات لم يحن وقتها بعد، ولكنها أسئلة مشروعة في كل حال».

كان رامسفيلد قد عمد إلى تطمين الأمريكيين حول حجم القوات التي أرسلوها إلى مسرح العمليات في أفغانستان ربما لم يشأ صقر البنتاجون الجارح أن يقول لمواطنيه إن الإدارة تنوي إرسال ألوف من أبنائهم الشباب إلى ذلك البلد الغامض البعيد كي يلقوا حتفهم في جبال تورا بورا أو في حواري قندهار، لذلك أعلن رامسفيلد أن العمليات العسكرية الأمريكية كانت في حدود ضباط اتصال مع عناصر المعارضة ضد طالبان وأن حجم العسكرية الأمريكية في أفغانستان لن يتعدى ـ من ثم ـ وحدات صغيرة من القوات الخاصة التابعة للولايات المتحدة... إلخ.

فى هذه النقطة بالذات «اصطاده» الكاتب «ر. آبل» فعاد إلى وضع عبارات حارقة على جرح الستينيات الغائر القديم فقال: إن دورهم هذا يدعونا إلى الشك فى أنه يستعيد دور المستشارين (الأمريكيين) الذين سبق إرسالهم إلى فيتنام فى مقتبل الستينيات «وتلك إشارة تعرفها كل الأجيال المخضرمة فى أمريكا حيث بدأت ورطة ـ تراجيديا فيتنام بمستصغر الشرر على شكل أفواج من المستشارين، ثم مالبثت ان تحولت، بل تضخمت وتورمت إلى حيث اندلاع لهيب الحرب واتساع نطاق الصراع مع مقاتلى الشرق الآسيوى فى شمال فيتنام وجنوبها مما ألحق بالولايات المتحدة خسائر رهيبة فى الأرواح والمعدات، وفى الهيبة الدولية، والوجدان القومى على السواء.

وبعد جرح فيتنام عمد كاتب «نيويورك تايمز» إلى طرح أمثولة وعبرة أخرى مستفادة من كارثة الغزو السوفييتى لأفغانستان وفى هذا قال الكاتب: ترى هل ننسى أن الاتحاد السوفييتى السابق وقد كان مزوداً بدبابات عالية الكفاءة ضخمة الإعداد، لكنه واجه بدوره حاجزاً مسدوداً ومن ثم واجه الهزيمة والاندحار على يد قوات المتمردين الأفغان.

لهذا كان منطقياً أن يدخل الرئيس بوش إلى قاعة اجتماع مجلس الأمن القومى فى التاسعة والنصف صباحاً ويستهل الاجتماع اليومى قائلاً: أيها السادة، اننا نخسر حرب العلاقات العامة. ولم يكن الرئيس يقتصر فى حديثه على الرأى العام الأمريكى ولكن كان يتحدث على نطاق أوسع وأشمل يضم الرأى العام العالمى ومن بينه شعب أفغانستان ذاته، أضاف بوش يقول: لا أحد يشكرنا على ما نقوم به لصالح الشعب الأفغانى، ولذلك فنحن بحاجة إلى عقد مؤتمر للمانحين قبل حلول شهر رمضان، وعلينا أن ندعو طالبان إلى السماح بمرور شاحنات المعونات الإنسانية والغذائية، و(نهددهم) بأنهم إذا لم يفعلوا يكونون بذلك قد خالفوا تعاليم، الإسلام(!).

بدأ مجلس الأمن القومى يتدارس تطورات الموقف على الأرض فى أفغانستان، كانت الخشية من اقتراب فصل الشتاء وهو موسم قارس البرودة «إلى حد التوحش» كما يصفه المؤلف وكما كان يعرف المجتمعون، وزاد الأمر سوءاً حين تكلم رجل البنتاجون القوى ـ

رامسفيلد عن مشكلات الإمداد العسكرى، ومنها مثلاً محاولة إعادة تزويد قوات المعارضة التى يقودها الجنرال فهيم بمزيد من الأسلحة والعتاد، كان مجهوداً جوياً يقوم على اسقاط الامدادات اللازمة من الطائرات وفى ساعة الصفر، بدأ الإسقاط بواسطة المظلات، ولكن الباراشوت لم يفتح لسبب مجهول، وكانت كارثة. والمشكلة أن مثل هذه الأمور لا تلبث أن تجد طريقها إلى العلن ولا سبيل إلى التكتيم أو التعتيم على أخبارها.

لذلك عاد الرئيس بوش يقول: نحن نخوض حرباً على جبهتين: فأمريكا واقعة تحت طائلة التهديد بهجوم فى هذا الموقع وذاك وعلينا أن نخوض حرباً فى الداخل من خلال تدابير الأمن الداخلى، وعلينا فى الوقت نفسه أن نخوض حرباً فيما وراء البحار نتصدى فيها لمقاتلة الأشرار.

كان الرئيس كمن يتكلم إلى قوم بسطاء سذج لا يعرفون شيئاً ولم يتابعوا شيئاً، لذلك جاء حديثه بدوره بدهياً لا جديد فيه.

والمهم أنهم توصلوا إلى ضرورة أن يقولوا شيئاً للناس، أن يخاطبوا الرأى العام، أن يحيطوا جماهير الأمريكيين بما يدور وربما آلت إليه أمور الحشد الأمريكى فى أفغانستان، وكان رامسفيلد هو المرشح ـ بوصفه وزير الدفاع لأداء هذه المهمة أمام شاشات التليفزيون.

الخميس أول نوفمبر

وقف الوزير دونالد رامسفيلد أمام العدسات وقد أحاط به المذيعون والصحفيون ـ ألقى تحية المساء ثم بدأ حديثه بعبارات تقول: لقد فكرت ملياً بشأن التساؤلات المطروحة حول الأشواط التى قطعناها فى الحرب حول سرعة إيقاعها ومدى تقدمها، وحول مطالبة الشعب الأمريكى بالصبر إذا لم يحدث شىء على الفور فى الميدان.

بعدها لجأ رامسفيلد إلى إعطاء دروس فى التاريخ، حيث اتخذت نبراته لهجة التلطف أو الاستمالة، قال: تأملوا ـ حضراتكم ـ عبرة التاريخ، بعد ٧ ديسمبر عام ١٩٤١، أى بعد الهجوم على بيرل هاربور (يقصد تدمير أسطول أمريكا على يد اليابان) استغرق

الأمر ٤ أشهر لكى ترد أمريكا على ذلك الهجوم بالغارة التى شنتها على طوكيو فى أبريل سنة ١٩٤٢.

واستغرق الأمر ٨ أشهر لكى يتم أول هجوم برى، واستمر قصف اليابان بالقنابل لمدة ثلاث سنوات ونصف السنة قبل أن تعلن الاستسلام ثم لا تنسوا أن ألمانيا لم تستسلم إلا بعد قصف دام أربع سنوات، ظل رامسفيلد مسترسلاً فى طرح دروس التاريخ ومؤكداً وجهة نظره فى أن الحرب لا تدور حول الإحصاءات ولا المواقيت الزمنية بل إنها تدور حول الإرادة والعزم والتصميم، إلخ مع هذا كله كان جو المؤتمر الصحفى عدائياً وكان الصحفيون يطرحون الأسئلة بلهجة من التحدى، فيما كان وزير البنتاجون ـ كما يوضح المؤلف ـ يجيب وقد «كز على أسنانه» كى لا يصل الموقف إلى درجة الانفجار ربما ساد التساؤل فى أجواء قاعة المؤتمر الصحفى.

ـ هل نحن أمام وزير الحرب أم نحن نستمع إلى وزير الدعاية مسئول الإعلام؟

هذا التساؤل عبر عنه أحد المراسلين حين توجه إلى الوزير قائلاً: مستر رامسفيلد. إن بيانك الافتتاحى الذى ألقيته علينا اليوم لم يكن عن إدارة شئون الحرب، بل بدا الأمر أنه كان حول بيع سلعة اسمها الحرب ومحاولة إقناع الشعب الأمريكى بما تستغرقه من وقت وما يتطلبه الأمر من صبر، والسؤال سيادة الوزير هو: كم من وقتك تخصصه لعمليات البيع والترويج، ومتى تكون تلك المساحة الزمنية التى تكرسها لحكاية الدعاية هذه، وهل يقتنع الناس بما تقول؟، هل يشترون ما تبيعه لهم؟ ولم يكن مهماً تسجيل ما رد به الوزير رامسفيلد حول هذه التساؤلات التى عكست ـ كما ألمحنا ـ روح التحدى وجو العداء وعدم الاقتناع ـ ويكفى القول إن وزير البنتاجون رد من تحت الضرس قائلاً إنه يخصص نسبة ضئيلة نسبياً من وقته ـ كوزير للدفاع ـ للرد على استفسارات الميديا وتساؤلات الإعلام.

رجل المرحلـــة

فيما كان الوزير رامسفيلد يخصص جانباً من وقته لجهود العلاقات العامة، كان مرءوسه الجنرال فرانكس يكلف ـ إلى جانب واجباته العسكرية ـ بمهام أخرى تدخل فى

صميم العلاقات السياسية والجهود الدبلوماسية كان الرئيس بوش قد أوفده إلى زيارة عدد من الدول التى كان لكل منها دوره المحوير بالنسبة للمجهود الحربى الأمريكى فى أفغانستان.

وعاد الجنرال فرانكس من مهمته وبدأ يطرح على أركان إدارة بوش ـ مجلس وزراء الحرب كما كانوا يسمونه ـ أهم نتائج الزيارات التى قام بها:

ـ عن السعودية قال الجنرال فرانكس أنه دهش إزاء دفء الحفاوة التى استقبلوه بها فى المملكة وكانوا متفهمين أن المجهود الحربى (الأمريكى) فى أفغانستان من شأنه أن يستغرق أجلاً طويلاً، اعترف الجنرال أيضاً أنه واجه قدراً من المقاومة على مستوى المسئولين الأقل رتبة فى حكومة الرياض لكنه بدا مقتنعاً أن أى احتكاك ينجم عن ذلك سوف يمكن تسويته بسرعة.

ـ عن قطر قال الجنرال ان الأمريكيين قدموا طلبات وأن المسئولين القطريين يعملون على تلبيتها.

عن أوزبكستان أكد الجنرال الأمريكى أنها بحاجة إلى مزيد من الجهود لحل المشكلات المطروحة وأقترح أن يقوم وزير الحرب الأمريكى رامسفيلد بزيارة الرئيس كريموف فى أوزبكستان.

ـ عن طاجكستان أوضح فرانكس انه يعد تقديراً للموقف من أجل انشاء قاعدة جوية أمريكية هناك.

ـ عن باكستان أثنى الجنرال فرانكس على رئيسها الجنرال مشرف الذى بدا أمامه رابط الجأش عميق الالتزام مؤكداً على ضرورة أن تراعى واشنطن حساسية الموقف فى إسلام أباد ـ بالتحديد فى الشارع الباكستانى ومنبها إلى أن الجنرال مشرف يطالب بسرعة إنجاز أو بالأدق إنهاء حرب أمريكا فى أفغانستان ومضيفاً أنه حين سمع هذا المطلب من رئيس باكستان رد الجنرال الأمريكى قائلاً: هذا أمر يتوقف عليكم بأكثر مما يتوقف علينا.

ما هو اسوأ سيناريو يمكن أن تتعرض له الولايات المتحدة أو حلفاؤها من جراء مخططات الإرهاب؟

هذا هو السؤال الذى ظل يطرحه ديك تشينى نائب الرئيس الأمريكى الذى كان يحضر الاجتماعات السوبر ـ مهمة فى البيت الأبيض ثم يعود ليلوذ بالمخبأ السرى الذى اختاروه أو اختاره هو شخصياً كى يختفى فيه تحسباً للمفاجآت.

وهذه المفاجأة كانت غير سعيدة بكل تأكيد إذ كانت تعنى أن يقع حادث أو يتم تنفيذ مخطط رهيب يودى بحياة رئيس الولايات المتحدة شخصياً ـ ومن ثم كان الأمر يستلزم تأمين حياة نائب الرئيس وعدم تواجده مع الرئيس فى مكان واحد بما يضمن ما يوصف بأنه الاستمرارية الدستورية فى قيادة وإدارة أكبر بلد فى العالم.

من المخبأ غير المعروف كان يخرج تشينى ليطرح تساؤلات أكثر من مفزعة من قبيل: ماذا لو كانوا يحوزون أسلحة نووية؟

ـ ماذا لو كانوا قد حصلوا أو يزمعون استخدام أسلحة كيميائية أو مواد بكتريولوجية؟

ولم يكن تشينى يتورع فى هذا السياق عن أن يضيف إلى هذه الكوابيس قائلاً: إن النتائج الاستراتيجية التى قد تنجم عن احتمال استيلاء الراديكاليين على تقاليد الأمور فى باكستان أو فى السعودية سوف تكون عواقب هائلة. أما عن الجبهة الأمريكية الداخلية فكان تشينى يقول: لو تعرضنا لضربة أخرى، فلسوف تتقطع حبال الصبر التى مازال الشعب الأمريكى يعتصم بها.

يقول المؤلف: كان نائب الرئيس يلتزم الصمت فى معظم الاجتماعات ولكنه كان يصغى باهتمام شديد ويهز رأسه بين حين وحين، ثم يقول: أتصور أن الوقت فى جانبنا، لكن أرى أن من المهم أن ندفع عجلة الأمور بصورة أسرع، وبالنسبة إلى يو بى إل (الاختصار الدال على أسامة بن لادن) فكلما طال بقاؤه حراً طليقاً، زاد احتمال الخطر بأن يوجه ضربة ثانية إلينا.

عندما كان الرمزى «يو. بى. إل» يتردد فى أرجاء القائمة كانت تسدل علينا ستارة من الوجوم الشديد، كل صفات الشيطان الرجيم، كل سمات العدو اللدود أضفوها على هذا «بن لادن» ثم استراحوا، أو هيىء لهم انهم استراحوا (كأنما جاء ابن لادن ـ فى تصورنا ـ بديلاً عن الاعداء ـ شياطين الإنس الذين ناصبتهم أمريكا والمغرب لدد الخصومة فى عقود سبقت من الزمن الماضى، هكذا كان أدولف هتلر وهكذا كان الاتحاد السوفييتى، وهكذا أصبح أسامة بن لادن).

إذن لو استمر أسامة بن لادن طليقاً أو حياً لأخرج من جعبته كل الشرور وكل الاخطار التى يهون بجانبها ما ظل صندوق باندورا الأسطورية يحويه من ويلات وكوارث، إشعاع ذرى، أوبئة تتفشى، انثراكس يهلك الناس من حيث لا يشعرون سموم تبيد الحرث، إلخ.

اصغى الجمع إلى ما قاله نائب الرئيس ولم يعلقوا

لكن جورج تينيت، رئيس المخابرات المركزية كان له تصورات أخرى، يقول المؤلف: كان تينيت يتصور أن حرية بن لادن يمكن أن تزيد الخطر ويمكن أيضاً أن تقلل احتمالاته لو ظل طليقاً فقد يأمر بهجوم آخر، ولكنه لو سقط فى الأسر أو لو استطاعوا اغتياله فقد تأتى عناصر أخرى من تنظيم «القاعدة» فتقرر الانطلاق إلى عمل أخطر يأساً أو انتقاماً وقد تكون العواقب أفدح وأشد خطورة، هكذا كان يتصور مدير المخابرات لكنه سكت ولم يقل شيئاً.

جاء دور ولفويتز، نائب وزير الدفاع، كان وزيره رامسفيلد فى زيارة إلى روسيا والهند وأوزبكستان وطاجيكستان وباكستان، حضر نائب الوزير اجتماع مجلس وزراء الحرب، يوم الاثنين ٥ نوفمبر، أراد أن يدلل على مسمع من الرئيس بوش على قدرة البنتاجون على تصعيد المجهود الحربى فى أفغانستان قال ولفويتز: زادت طلعاتنا الجوية الآن بنسبة ٣٠٪. نحن نستخدم طائراتنا اف ـ ١٦ واف ـ ١٥ التى تنطلق من أرض الكويت، لكن المسافة طويلة. يعلق المؤلف قائلاً: هى مسافة ألف ميل (١٨٠٠ كيلو متر تقريباً) أما الكويت التى تحررت فى حرب الخليج عام ١٩٩١ على يد الولايات المتحدة فكانت على استعداد للسماح بقيام الضربات الهجومية من أرضها.

بعدها طرح المجتمعون مسألة مواصلة الضربات خلال شهر رمضان وهنا بادر ولفويتز إلى القول: إن أحد زعماء الشرق الأوسط أبلغ الجنرال فرانكس أن أمريكا ليست بحاجة إلى وقف حربها خلال رمضان، وأن فى مدى ٣٧ سنة من السنوات الخمس والأربعين الماضية كانت الحروب تندلع خلال رمضان، وكان معظمها عرباً ضد عرب آخرين.

كان الرئيس بطبيعة الحال - قد انتهى فعلاً إلى قراره بمواصلة القصف خلال الشهر الإسلامى لكن الزعيم (الشرق - أوسطى المذكور أعلاه) نبه (كتر ألف خيره!) إلى أنه ينبغى للأمريكيين أن يخففوا الضرب خلال مواقيت الصلاة، وقد أفاد ولفويتز أن هذه هى الصيغة التى اتبعوها فى البنتاجون.

فى مساء اليوم نفسه اجتمع الرئيس بوش إلى ضيف عربى - أفريقى زائر هو الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة رئيس الجزائر التى يصفها المؤلف (ص ٢٩٥) بأنها أكبر بلد فى أفريقيا وأن السى. آى. إيه» تقدم دعماً باهظاً (أو سخياً) إلى مخابراتها حيث تنفق الملايين طلبا لمساعدة (المخابرات الجزائرية) فى الحرب ضد تنظيم «القاعدة» وفى ديسمبر عام ١٩٩٩ - يضيف مؤلف الكتاب - جاء القبض على «أحمد رسام» وهو عنصر (إرهابى) جزائرى، لا ليساعد فقط على إحباط المخطط الإرهابى المقرر تنفيذه فى مطلع الألفية، بل جاء ليحيط المخابرات المركزية علماً بشأن وجود شبكة جزائرية تابعة للقاعدة تضم أفارقة من ذوى السحنة السوداء. وكانت النتيجة هى مضاعفة العدد المعروف من أعضاء «القاعدة» فى العالم وكان ذلك اكتشافاً مهما ومقلقاً فى آن واحد. أما تينيت مدير المخابرات فقد رأى فى الأمر إنذاراً يحث السى. آى. إيه» على ألا تبحث عن وجوه عربية بل تنشد أيضاً وجوهاً أفريقية فى عملياتها لمكافحة الإرهاب. ثم يضيف كتابنا قائلاً: من جانبه وعد بوش الرئيس الجزائرى بأن أمريكا سوف تنجز مهمتها (فى أفغانستان) ثم تعود إلى وطنها وقال بوش لزائره: مشكلتنا الأكبر هى أن لدينا صحافة نافدة الصبر. يريدون أن تضع الحرب أوزارها بين يوم وليلة، إنهم لا يفهمون أبعاد ما يجرى.

زائر آخر استقبله الرئيس بوش هو الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودى، بطاقة تعريفه كما يوردها المؤلف تصفه بأنه دارس الاقتصاد وخريج جامعة برنستون المرموقة بالولايات المتحدة. كانت المقابلة شخصية كما يضيف المؤلف وفيما دار الحوار بين الطرفين بعد أن بدأه سعود الفيصل. من واجبنا أن نعرب عن تضامننا من أجل التخلص من الإرهابيين فى أفغانستان.

أظن أن أسامة بن لادن يكرهكم بأكثر مما يكرهنى شخصياً.

شرف لنا أن نكون منضمين إلى شخص على شاكلتكم، ولن يبدر منا شىء يضر بالاقتصاد الأمريكى. يعلق المؤلف على هذا الحوار - يقول (ص ٣٠٢): ١٥ من مختطفى طائرات ١١ سبتمبر التسعة عشر كانوا سعوديين، وكان السعوديون يعتقدون أن بن لادن تعمد اختيار هؤلاء المختطفين بالتحديد من أجل أن يدق إسفين بين المملكة وبين الولايات المتحدة.

كما أن السعوديين - يضيف المؤلف - يزودون أمريكا بنسبة ٨ فى المائة تقريباً من النفط المستهلك يومياً بالولايات المتحدة وبوسعهم خفض الإنتاج ومن ثم الصعود بأسعار البترول ارتفاعاً إلى عنان السموات.

فى والدورف استوريا

طار الرئيس بوش إلى نيويورك، كان مقرراً أن يلقى البيان الافتتاحى لأعمال الدورة الجديدة للجمعية العامة للأمم المتحدة ونظراً للأحداث المتلاحقة التى ظلت متسارعة لاهثة منذ الحادى عشر من سبتمبر فقد تأخر بيان الرئيس بوش إلى شهر نوفمبر بدلاً من الأسبوع الثالث من سبتمبر، موعد افتتاح دورة الأمم المتحدة فى كل عام.

عادة يتسم بيان الرئيس الأمريكى بالنبرة التقليدية يأتى أقرب إلى الخطاب التقليدى الذى يلقيه رئيس الدولة المضيفة للمنظمة الدولية حيث يستعرض تطورات الأحوال فى العالم ويعرض لأهم مشكلاته وقضاياه ويستشرف بعض الأمنيات التى تنتاب الشعوب ولا بأس من التغزل - قدر الإمكان - فى صون السلام والأمن والتعاون الدولى من أجل الرخاء.

خطاب الرئيس بوش هذه المرة كان يحوى عناصر حديث بدأت بالتأكيد على التعاون الدولى، من أجل مكافحة الإرهاب وانتهت بحديث عن رؤى أو تصورات بشأن إقامة دولة فلسطينية، وجاءت النغمة الأخيرة لزوم ترطيب الأجواء فى الشرق الأوسط. بعد الخطاب توجه جورج بوش إلى فندق والدورف فى استوريا فى شارع لكسنغتون وهو المكان التقليدى لإقامة رؤساء الدول الذين يحضرون الجانب البروتوكولى بالذات من دورة الأمم المتحدة.

فى الجناح الرئاسى فى والدروف استوريا التقى الرئيس بوش لأول مرة مع الجنرال برويز مشرف رئيس باكستان بعد التحيات والترحيبات قال الرئيس بوش: جنرال مشرف، نحن نعرف أنك فى موقف غاية فى الصعوبة لكنك وفقت إلى الاختيار السليم.

- سيادة الرئيس نحن معكم، مهما طال الزمن وأيا كانت الظروف.

- أريد من جانبى أن تنتهى العمليات مبكراً

(كان بوش يعزف النغمة التى يعرف أن زائره الباكستانى يهتم بها إلى أقصى حد) لكن المهم أن نعثر على العدونستغل لذلك كل ما يسعنا من إمكانات، وعندى أن المسألة تدعونا إلى أن نصغى (يقصد نتنصت) إلى كل مكالمة هاتفية تصدر عنهم وأن نلاحقهم ونوقف نشاطهم، ومن ثم نحمى العزل والأبرياء.

يعلق المؤلف عند هذا المنعطف من حوار الرئيسين مشيراً إلى أن حكاية رصد المكالمات كانت بعداً جديداً أضافه الرئيس بوش إلى القصة ويبدو أن بوش كان مفتوناً (تعبير المؤلف) بقدرة وكالة الأمن القومى الأمريكية على التنصت على المكالمات الهاتفية وعلى جميع الاتصالات التى تدور فى طول الكرة الأرضية وعرضها، وكان يتصور أنهم إذا ما رصدوا المكالمات فإنه يمكن إيقاف مخططات الإرهاب فى المستقبل.

من جانبه أعرب الضيف الآتى من باكستان عن رأيه بأن بن لادن لا يحوز أى أسلحة نووية وأعرب عن قلق يساوره من أن تستولى قوات التحالف الشمالى (المعارضة لطالبان) على مقاليد الأمور فى أفغانستان - جنرال برويز، أنا أفهم تماماً قلقك بشأن التحالف الشمالى.

- بصراحة، قلقى الحقيقى، انشغالى العميق - سيادة الرئيس - هو أن تتخلى أمريكا عن باكستان فى نهاية المطاف هنالك - يقول المؤلف - حدق جورج دبليو بوش فى عين زائرة القادم من إسلام أباد وقال: قل للشعب الباكستانى إن رئيس الولايات المتحدة حدق فى عينيك شخصياً وأبلغك أننا لن نفعل ذلك على الإطلاق.

- ما رأى فخامتك إذن فى هذا المقال الذى كتبه سيمور هيرش ونشرته مجلة «نيويوركر».

كان سيمور هيرش الكاتب الصحفى المحقق قد نشر بحثاً فى المجلة يدعى فيه أن لدى البنتاجون (الأمريكى) خطط طوارىء يتم بموجبها الاستعانة بوحدة عمليات إسرائيلية(!) خاصة للاستيلاء على الأسلحة النووية التى تمتلكها باكستان إذا ما تعرضت باكستان لحالة من زعزعة الاستقرار. عاد الرئيس بوش لينظر محدقاً فى عين الجنرال مشرف ويقول بغير مواربة، سيمور هيرش رجل كذاب.

□□□

استراتيجية بوش

3

Bush at War

حرب بوش

حذر وزير الدفاع الأمريكى الرئيس بوش من أن إقدام الولايات المتحدة على رد فعل قوى إزاء هجمات سبتمبر يمكن أن يتطلب حرباً أوسع.. حرباً قد تتجاوز كثيراً استخدام القوة العسكرية.. وكان رد بوش على وزير دفاعه حاسماً، إذ قال : إذن دعونا نطلق النار عليهم واحداً فواحداً.. !!



الثلاثاء ١١ سبتمبر.

بعد الساعة التاسعة والنصف مساء بقليل جمع الرئيس جورج بوش كبار مستشارى الأمن القومى فى غرفة محصنة تحت أرض البيت الأبيض. كان ذلك بعد ١٣ ساعة بالضبط من حدوث افظع هجوم على الولايات المتحدة فى تاريخ البلاد. جلس بوش ومستشاروه حول مائدة طويلة فى غرفة الاجتماعات فى المركز الرئاسى لعمليات الطوارئ. وقد شيدت هذه الغرفة المحصنة الضيقة لتقاوم هجوما نوويا, بمضاجع للنوم, وطعام يكفى لإبقاء عدد قليل من الاشخاص على قيد الحياة لأيام عدة.

ووفقا لملاحظات مجلس الامن القومى أبلغ بوش مساعديه قائلا "هذا هو وقت الدفاع عن النفس". وأضاف, مكررا العهد الذى قطعه على نفسه فى وقت مبكر من المساء ذاته فى خطاب تلفزيونى من المكتب البيضاوى "لقد اتخذنا قرارا بمعاقبة من يوفر للارهابيين ملاذا, وليس فقط مرتكبى الجريمة".

وقال الرئيس ان مهمتهم هى اتخاذ قرار حول كيفية القيام بذلك.

وفيما بعد ظهر ذلك اليوم, وعلى خط هاتف آمن من سلاح الجو الأول، كان بوش قد أبلغ وزير الدفاع دونالد رامسفيلد أنه سيصدر أمراً برد فعل عسكرى، و أن رامسفيلد سيكون مسئولاً عن تنظيم العملية.. و قال لرامسفيلد : حسناً، رتب الأمور المختلطة، و من ثم، ستكون الكرة فى ملعبك.

وبحلول ذلك الوقت كانت المعلومات الاستخبارية محسومة تقريباً من أن أسامة بن لادن وشبكة القاعدة التى يتزعمها فى أفغانستان, يتحملون مسئولية الهجمات على مركز

التجارة العالمى ووزارة الدفاع (البنتاجون). غير أن المساعدين الذين تجمعوا فى الغرفة المحصنة "وزارة الحرب" التى ضمت رامسفيلد, ونائب الرئيس ديك تشينى, ومستشارة الامن القومى كوندوليزا رايس, ووزير الخارجية كولن باول, ومدير وكالة المخابرات المركزية جورج تينيت, لم يكونوا مستعدين لتقرير ما الذى يجب عمله بشأن منفذى الهجوم, وكان لدى وزارة الحرب أسئلة, وكان رامسفيلد اكثرهم طرحا للأسئلة.

من هم المستهدفون؟ وكم من الادلة نحتاج إليها قبل ان نتعقب "القاعدة"؟ وبأية سرعة يتعين علينا القيام بالعمل؟ وقال رامسفيلد انه بينما يعتبر العمل السريع اساسيا, فان الامر قد يتطلب ٦٠ يوما للاعداد لتوجيه ضربات عسكرية كبرى. وتساءل: هل هناك اهداف خارج الحدود؟ وهل نشرك حلفاء أمريكا فى الضربات العسكرية؟

وحذر رامسفيلد من ان رد فعل قويا يمكن ان يتطلب حربا اوسع, حربا تتجاوز كثيرا استخدام القوة العسكرية.

وقال إنه يجب على الولايات المتحدة ان تستخدم كل ما يتيسر لها من وسائل عسكرية, وقانونية, ومالية, ودبلوماسية, واستخباراتية. كان الرئيس مفعما بالحماس. وقدم تينيت (مدير وكالة الاستخبارات المركزية سى اى ايه) فكرة واقعية متزنة. وقال انه على الرغم من ان القاعدة الاساسية هى افغانستان, فان المنظمة الارهابية تعمل على نطاق عالمى تقريبا. فقد انشغلت وكالة المخابرات المركزية بقضية بن لادن لسنوات. وابلغ المجموعة "ان لدينا مشكلة فى ٦٠ بلدا".

ورد بوش "دعونا نطلق النار عليهم واحدا واحدا".

لقد ادخل الرئيس ومساعدوه أمريكا فى الطريق إلى الحرب فى تلك الليلة بدون خارطة. ولم يكن لديهم سوى إحساس مبهم حول كيفية الرد, اعتمد, إلى حد كبير, على ردود الفعل الداخلية للرئيس. ولكن بعد تسع ليال, عندما خاطب بوش جلسة مشتركة للكونجرس, كان كثير من الاسئلة المهمة قد جرت الاجابة عنها.

وفى الاجتماعات السرية, التى كانت تعقد مرات عدة فى اليوم غالبا, كان بوش ومستشاروه يتداولون ويتجادلون, وقد استقروا أخيرا على استراتيجية ما زالت بادية

للعيان متمثلة فى حرب غير تقليدية, محفوفة بالمخاطر, عالمية النطاق ضد الارهاب. وقد اعتمدت هذه السلسلة من الموضوعات على رواية داخلية لما حدث منذ الحادى عشر حتى العشرين من سبتمبر, وعلى مقابلات مع مسئولين رئيسيين مشاركين فى صنع القرار. بمن فيهم الرئيس, ونائب الرئيس وكثيرون آخرون من كبار المسئولين داخل وخارج الادارة. وقد استكملت المقابلات بملاحظات وتعليقات من اجتماعات مجلس الامن القومى, تيسرت ل "الواشنطن بوست", مع ملاحظات وتعليقات لعدد من المشاركين.

والرواية التى عاصرت الحدث غير كاملة بالضرورة. فقد استجاب الرئيس, وموظفو البيت الابيض, وكبار موظفى الحكومة, بالتفصيل, للاسئلة والطلبات. غير انهم رفضوا مناقشة بعض الامور, مشيرين إلى الامن القومى, والرغبة فى حماية سرية بعض المشاورات الداخلية.

الساعة ٦,٣٠ صباحا ـ الرئيس فى فلوريدا: إنكار وتصميم.

كان الرئيس بوش قد نهض مبكرا صباح الحادى عشر من سبتمبر, وبدأ رياضة الجرى لمسافة اربعة أميال حول ملعب الجولف فى (كولونى بيتش) وملعب التنس فى لونجبوت كى بولاية فلوريدا حيث كان يقيم.

كان فى برنامج بوش ذلك اليوم ما يسميه مساعدو البيت الابيض "الحدث الرائق".. لقاء مع حوالى ١٦ من طلاب الصف الثانى فى مدرسة ايما بوكر الابتدائية فى ساندرا كى دانييل بساراسوتا. وفى الليلة السابقة كان بوش قد تناول العشاء مع شقيقه جيب بوش حاكم ولاية فلوريدا, والحاكم السابق بوب مارتينيز, ومسئولين جمهوريين آخرين.

كان مساء مخططاً له أن يبعث على الاسترخاء, مليئا بالمرح والحديث حول قضايا سياسية, بما فى ذلك بعض الإعاقات لخصوم جيب بوش المحتملين فى حملة إعادة الانتخاب عام ٢٠٠٢.

وتوجه موكب سيارات بوش إلى المدرسة فى الساعة الثامنة والنصف صباحا. وما إن وصل الموكب حتى بدأت أجهزة النداء والهواتف المحمولة تنبه مساعدى البيت الابيض

إلى ان طائرة ضربت البرج الشمالى لمركز التجارة العالمى. ويتذكر بوش كبير مساعديه كارل روف الذى جلب له الانباء قائلا انه يبدو حادثا صغيرا من طائرة ذات محركين.

والحقيقة انها كانت طائرة بوينج ٧٦٧ فى الرحلة رقم ١١ للخطوط الجوية الأمريكية من مطار لوجان الدولى ببوسطن. واعتمادا على ما ابلغ به, افترض بوش انه مجرد حادث. وتذكر الرئيس انه قال "انها غلطة طيار", وانه "من غير المعقول ان يفعل شخص ما هذه الفعلة". وقال بوش وهو يتشاور مع اندرو كارد, رئيس مكتب موظفى البيت الابيض "لا بد ان الشخص كان يعانى من نوبة قلبية".

وفى ذلك الصباح تفرق مستشارو الرئيس الأساسيون. كان تشينى ورايس فى مكتبهما فى الجناح الغربى. وكان رامسفيلد فى مكتبه فى البنتاجون يلتقى بوفد من الكابيتول هيل. وكان كولن باول قد جلس للتو لتناول الفطور مع رئيس بيرو الجديد, اليخاندرو توليدو فى ليما. وكان تينيت يتناول الفطور مع صديقه ومرشده القديم, ديفيد بورين, السناتور الديمقراطى السابق من اوكلاهوما, فى فندق سانت ريجيس, الذى لا يبعد سوى ثلاثة أبنية عن البيت الابيض. اما الجنرال هنرى شيلتون, رئيس هيئة الأركان المشتركة فكان فى منتصف رحلة عبر الأطلسى فى طريقه إلى اوروبا. وكان المدعى العام جون اشكروفت متوجها نحو ميلووكى بينما كان مدير مكتب المباحث الفيدرالى روبرت مولر الذى تسلم منصبه قبل أسبوع, فى مكتبه بمقر مكتب المباحث الفيدرالى الواقع فى بنسلفانيا افنيو. وفى الساعة التاسعة وخمس دقائق صباحا اصطدمت طائرة رحلة الخطوط الجوية الامريكية رقم ١٧٥ وهى من طراز بوينج ٧٦٧ ايضا, بالبرج الجنوبى من مركز التجارة العالمى. وكان بوش يجلس على مقعد فى أحد فصول المدرسة عندما همس كارد بالأنباء "طائرة ثانية ضربت البرج الثانى. أمريكا تتعرض لهجوم".

ويتذكر بوش, بالضبط, ما الذى كان يفكر فيه "لقد أعلنوا الحرب علينا, وقد عقدت العزم فى تلك اللحظة على أننا متوجهون إلى الحرب".

وتظهر احدى الصور وجه بوش بنظرة بعيدة وهو يستوعب ما كان كارد قد قاله. هز رأسه، واستأنف حديثه مع الطلاب.. "ذلك شىء جيد حقا" قال قبل أن يستأذن ويعود إلى غرفة الاجتماعات، مضيفا لابد أن يكون هؤلاء الطلاب فى المرحلة السادسة".

الساعة ٩,٣٠ صباحا ـ وزير الخارجية فى بيرو: اذهب وقل لهم إننا مغادرون.

فى ليما قطع باول، فجأة، فطوره مع الرئيس البيروفى, بعد ان علم بالضربة الثانية على مركز التجارة, واعتزم العودة إلى واشنطن. وأبلغ أحد المساعدين "أعد الطائرة. اذهب وقل لهم إننا مغادرون". كانت امامه رحلة تستغرق سبع ساعات, واتصالات هاتفية بائسة.

وفى فندق سانت ريجيس أسرع المساعدون إلى مائدة تينيت مقابل نافذة تطل على كى ستريت. قال أحدهم "أيها السيد المدير هناك مشكلة خطيرة".

وخلال وقت طويل من فصل الصيف كان قلق تينيت يتزايد من امكانية حدوث هجوم ارهابى كبير على الولايات المتحدة. كان هناك كثير من اللغو فى نظام المعلومات الاستخباراتية, وتقارير متكررة عن تهديدات اقلقت نومه.

وكان اصدقاؤه يعتقدون ان هواجس كانت تنتابه. ففى كل مكان يذهب إليه كانت الرسالة هى ذاتها: شىء ما كبير قادم. ولكن على الرغم من كل مخاوفه, لم يستطع مسئولو المخابرات, قط, ان يحددوا بدقة متى أو أين يمكن أن يقع الهجوم.

وقال تينيت لبورين: "ان بن لادن يقف وراء كل ذلك. يتعين على أن اغادر".

وكان لديه رد فعل آخر فى الدقائق الأولى القليلة, وهو رد فعل طرح احتمال ان مكتب المباحث الفيدرإلى ووكالة المخابرات المركزية لم يفعلا كل ما بوسعهما لمنع الهجمات الارهابية من الوقوع. وسمع تينيت, مصادفة, وهو يقول "اتساءل عما اذا كان الامر على صلة مع هذا الشخص الذى تلقى تدريبا على الطيران". وكان يشير إلى زكريا موساوى, الذى كان قد اعتقل فى اغسطس بعد أن أثار الشبهات عندما سعى إلى التدريب فى مدرسة مينيسوتا للطيران.

وكانت قضية موساوى تشغل ذهن تينيت إلى حد كبير جدا.كان مكتب المباحث الفيدرالية قد طلب من وكالة المخابرات المركزية ووكالة الأمن الوطنى مراقبة هاتف موساوى, الذى يوجد عنه فى المكتب ملف سمكه خمس بوصات. وفى الساعة التاسعة

والنصف صباحاً ظهر الرئيس أمام كاميرات التليفزيون, واصفا ما حدث باعتباره "هجوما ارهابيا جليا" و"مأساة وطنية". وقد بدا مرتعشا, وكانت لغته غير رسمية على نحو غريب. وقال انه سيلاحق "اولئك الذين ارتكبوا هذا الفعل".

ولكنه قال ايضا إن "الارهاب ضد بلادنا لن يصمد". وكان ذلك صدى لعبارة "هذا لن يصمد". وهى الكلمات التى استخدمها والده, الرئيس جورج بوش, بعد ايام قليلة من قيام العراق بغزو الكويت عام ١٩٩٠, وهى فترة, فى رأى بوش, من افضل فترات والده, وأكثرها تميزا.

وقال بوش فى مقابلة اجريت معه "لماذا رددت هذه الكلمات المحددة.. ربما كان ذلك صدى من الماضى. لا اعرف السبب.. سأقول لكم: لم نجلس ونقلب الكلمات. وصلت إلى هناك وتحدثت مباشرة".

الساعة ٩,٣٢ صباحا ـ نائب الرئيس فى واشنطن فى مكان سرى وعلى اتصال ببوش

اندفع وكلاء المخابرات إلى مكتب تشينى فى الجناح الغربى. قال احدهم: "سيدى, يتعين علينا ان نغادر فى الحال". فقد اظهر الرادار ان طائرة تنطلق بسرعة فائقة باتجاه البيت الابيض.

وقبل ان يتمكن تشينى من التعبير عن رد فعله امسك الوكلاء بذراعى نائب الرئيس, وكادوا يرفعونه عن الارض, اندفعوا به باتجاه السلالم المؤدية إلى الدور تحت الارضى للبيت الابيض, وعبر نفق طويل يؤدى إلى الغرفة المحصنة تحت الارض.

وفى غضون ذلك كانت طائرة رحلة الخطوط الجوية الامريكية رقم ٧٧, وهى من طراز بوينج ٧٥٧ التى انطلقت من مطار دالاس الدولى, تنعطف مبتعدة عن البيت الابيض وتتجه عبر نهر بوتوماك لتصطدم بمبنى البنتاجون فى الساعة التاسعة والدقيقة التاسعة والثلاثين صباحا.

وفى النفق تحت البيت الابيض توقف تشينى ليراقب التليفزيون وهو يعرض صور الدخان المتصاعد من برجى مركز التجارة العالمى, وسمع التقرير عن الطائرة التى ضربت

البنتاجون, واتصل ببوش ثانية. وكان وكلاء مخابرات آخرون قد اخرجوا, على عجل, رايس وعددا آخر من كبار مسئولى البيت الابيض, فى إطار خطة طوارئ, متجهين بهم إلى الغرفة المحصنة مع نائب الرئيس.

وكان وزير النقل نورمان مينيتا, الذى استدعى إلى الغرفة المحصنة فى البيت الابيض, على اتصال مفتوح الخط مع مركز عمليات ادارة الملاحة الجوية الفيدرالية, وهو يراقب طائرة الرحلة ٧٧ المندفعة نحو واشنطن, عبر إشارات الرادار التى تصل كل سبع ثوان. وكانت التقارير تأتى مشيرة إلى ان الطائرة على بعد ٥٠ ميلا, ثم ٣٠ ميلا, ثم ١٠ اميال, وانقطعت الاشارة إلى ان وصلت كلمة إلى الغرفة المحصنة تقول إن هناك انفجاراً فى البنتاجون.

صرخ منيتيا على الهاتف موجها أوامره إلى مونتى بيلجر, من ادارة الملاحة الجوية الفيدرالية "مونتى: أنزلوا كل الطائرات", كان ذلك أمرا غير مسبوق, وكانت هناك ٤٥٤٦ طائرة تحلق فى الجو فى ذلك الوقت. وعدل بيلجر, نائب مدير ادارة الملاحة الجوية, توجيهات مينيتا لتأخذ فى الحسبان السلطة المخولة لقادة الطائرات. وابلغ بيلجر الوزير قائلا "إننا ننزلها وفقا لتقديرات كل قائد كل طائرة".

صرخ مينيتا ثانية "تقديرات قائد الطائرة.!! أسقطوا تلك الطائرات اللعينة".

رفع تشينى, الذى كان يجلس فى الطرف الاخر من المنضدة, رأسه, وحدق فى وجه مينيتا, وأومأ برأسه موافقا.

وفوق الأطلسى امر شيلتون طائرته بالعودة إلى واشنطن, ولكنه لم يستطع الحصول على موافقة من العاملين فى أجهزة السيطرة فى النقل الجوى, الذين حولوا مسار جميع الطائرات, حتى تلك التى كان يستخدمها رئيس هيئة الاركان المشتركة. وكان مستعدا لتحدى مراقبى السيطرة, معتقدا انه من السهل ان يقدم اعتذارا فى وقت لاحق, عندما اتصل نائبه ليقول له انه حصل على التصريح الرسمى الضرورى.

وفى مكتبه بالبنتاجون شعر رامسفيلد باهتزاز المبنى الشديد. ونظر من نافذته, ثم خرج مندفعا باتجاه الدخان, نازلا عبر السلالم باتجاه الخارج حيث كان باستطاعته ان

يرى القطع المعدنية متناثرة على الارض. وبدأ رامسفيلد يساعد فى جهود الانقاذ إلى ان طلب منه احد رجال الامن الابتعاد عن المنطقة "سأتجه إلى الداخل" قال ذلك , واحتل موقعه فى مركز القيادة العسكرية الوطنى, بغرفة العمليات الحربية فى البنتاجون.

ورتب مسئولو البنتاجون موقع القيادة المنقول جوا الذى لا يستخدم الا فى الطوارئ الوطنية. وارسلوا طائرات حراسة جوية مقاتلة إلى منطقة واشنطن, وطائرة حماية مقاتلة مرافقة لطائرة الرئيس الامريكى. كما أصدروا اوامر إلى طائرات المراقبة والرادار عبر الساحل الشرقى, وكذلك عبر الساحل الغربى, خشية وقوع موجة جديدة من الهجمات.

وصدرت الاوامر للقادة الموجودين فى بقاع أخرى من العالم لرفع حالة الانذار بالخطر إلى مستوى "دلتا" وهو اعلى مستوى, لحماية المؤسسات الأمريكية. ورفع رامسفيلد درجة الاستعداد القتالى إلى مستوى "ديفكون ٣", وهو أعلى مستوى منذ حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ بين مصر وسورية وإسرائيل.

وأرسل المسئولون الامريكيون, ايضا, رسالة إلى الروس الذين كانوا يقومون بمناورة عسكرية, فى منطقة ليست بعيدة عن الاسكا, تحثهم على اعادة النظر فى خططهم. وبعد تصريح بوش فى مدرسة بوكر الابتدائية, توجه موكب سياراته إلى مطار ساراسوتا برادنتون الدولى. وبعد أن صعد بوش إلى طائرة الرئاسة, قال احد موظفى المخابرات. وكانت آثار المزاج المتوتر بادية: "سيادة الرئيس نريد منك الجلوس بأسرع ما يمكن".

أسرعت الطائرة على المدرج, ثم مالت نحو ذيلها تقريبا وهى تنطلق بسرعة خارج المطار. كان الوقت الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والخمسين.

الساعة ٩,٥٥ صباحاً ـ نائب الرئيس : لا بد لنا من الاشتباك معهم

فور اعتلائهما متن الطائرة، تحدث بوش مجدداً مع تشينى ، الذى قال له إن دورية الطائرات المقاتلة تنتظر أوامر الاشتباك حال مواجهتهم أى طائرة قد تكون تحت سيطرة الخاطفين، و قد أوصى تشينى أن يصدر الرئيس بوش أوامره للقوات المسلحة بإطلاق

النار و إسقاط أى طائرة مدنية، و من ثم قال له بوش لقد قلت لك إن بمقدورك التصرف، وبرغم أنه لا بد من مناقشة الأمر، إلا أنه ليس لدينا الكثير لنتناقش بشأنه.

بعد ذلك تحادث الرئيس بوش مع رامسفيلد من أجل أن يوضح هذا الأخير الإجراءات العسكرية التى يتوجب على الطيارين اتخاذها فى حالة اضطرارهم لإجبار أى طائرة لا تمتثل لأوامرهم على الهبوط قبل أن يطلقوا النار عليها، اذ يتوجب أولاً على طيارى القوات الجوية أن يبحثوا عن أى وسيلة للاتصال بهذه الطائرات من خلال اللاسلكى لاخطار قائد الطائرة المدنية بالهبوط فى موضع معين، فإذا ما فشلت مساعيهم، سيكون متعيناً عليهم استعمال الاشارات البصرية فى الاتصال، و من هذه الوسائل أن تطير المقاتلات فى وجه الطائرة المدنية أو قبالتها.

فإذا ما واصلت الطائرة المدنية تقدمها نحو ما يمكن أن يمثل هدفا بنية مهاجمته، سيكون الطيارون المقاتلون مفوضين فى إطلاق النار عليها و إسقاطها، و هكذا.. وبموافقة بوش أعطى رامسفيلد أوامره لقادة القوات المسلحة التابعين له.

و داخل ملجأ البيت الأبيض، اقترب أحد المساعدين العسكريين من نائب الرئيس قائلاً له : هناك طائرة على بعد ٨٠ ميلا، و توجد إحدى المقاتلات فى المنطقة، هل يتعين علينا الاشتباك معها ؟

هنا رد تشينى دون أدنى تردد : نعم.

و من حول نائب الرئيس كان الجميع متحلقاً، كوندوليزا رايس، و نائب رئيس موظفى البيت الأبيض جوشوا بولتن و لويس ليبى رئيس فريق موظفى تشينى، و لقد عم التوتر الجميع فى الوقت الذى سأل فيه المساعد العسكرى سؤاله و بالأكثر عندما كرر سؤاله هذه المرة بشكل أكثر إلحاحاً، إذ كانت الطائرة على مقربة ٦٠ ميلا هذه المرة.. و من ثم كرر المساعد العسكرى السؤال : هل يتعين علينا الاشتباك معها ؟.. و من جديد قال تشينى : نعم.

وكلما كانت الطائرة تقترب أكثر، كان المساعد العسكرى يكرر سؤاله بقوله، هل ما زالت الأوامر كما هى ؟، و كان تشينى يكرر و يشدد على أنها بالفعل كذلك.

لقد كان الموقف حاسماً، و كما قال تشينى بعد ذلك فى لقاء صحفى : بصراحة كان الموقف يتطلب حسماً، فأنت تطلب من الطيارين الأمريكيين أن يطلقوا النار على طائرات مدنية تعج بالمدنيين، و من جهة أخرى كان ماثلاً فى ذهنى منظر برجى مركز التجارة العالمى، و كان من الواضح أنه إذا ما كانت الطائرة مختطفة، فإنها فى هذه الحالة لا تعد طائرة.. بل سلاحا.

وخلال دقائق، كان هناك بلاغ بأن الطائرة قد ارتطمت جنوب غربى بنسلفانيا، و قد اتضح فيما بعد أنها رحلة إليونايتد إيرلاينز رقم ٩٣ من طراز بوينج ٧٥٧، و التى كانت قد اختطفت بعد مغادرتها لمطار نيوآرك الدولى، و كان عدد كبير من أفراد مركز الطوارىء الرئاسى يخشون من أن يصدر تشينى أمراً بإسقاط طائرة مدنية، و مع ذلك فقد طلبت كوندوليزا رايس من بعضهم أن يراجع البنتاجون (وزارة الدفاع) بشأن قصة هذه الطائرة و كيفية سقوطها.

وعلى متن طائرة الرئاسة.. تساءل الرئيس بوش : هل تم اسقاط هذه الطائرة أم أنها سقطت وحدها ؟

و لقد استغرق الأمر ساعتين حتى أكد البنتاجون أن أحداً لم يفتح النار على هذه الطائرة، و من ثم شعر الجميع بارتياح كبير، و قد علق تشينى على هذا الموقف فيما بعد بقوله : أعتقد أن عملاً بطولياً قد تم على متن هذه الطائرة، و أشارت التقارير الواردة من خلال تتبع المكالمات التى تمت من التليفونات المحمولة قبل أن ترتطم الطائرة أن بعض الركاب قاوموا الخاطفين.

وفى حالات الطوارىء القومية، يفترض وفقاً لخطة (استمرار الحكومة) السرية أن تحمى قيادة البلاد الدستورية، و هى مصممة بحيث تحدد مَن من المسئولين ينبغى ضمه إلى المخبأ تحت الأرض فى البيت الأبيض، و أى من أعضاء الحكومة يتوجب اقتياده إلى موقع آمن، و إلى أين ينبغى أن يلجأ أعضاء الكونجرس.

ولقد تم إبلاغ كبار رجال الادارة الأمريكية بموجز للإجراءات التى سيتم اتباعها بعد أن اطمأن الجميع على الرئيس بوش و بعد أن غادر الجميع المخبأ، لكن الآخرين ممن

قيل لهم أن عليهم التوجه إلى هناك فى ١١ سبتمبر لم يكن لدى أى منهم أدنى فكرة عن موضع هذا الملجأ و قد ظل عدد كبير خارج الملجأ لفترة طويلة قبل أن يحصلوا على إذن بالدخول، و كانت لدى بعض الوزارات خطط للطوارىء و بعضها لم يكن لديه مثل هذه المبادرات على الاطلاق.

و خلال المراحل الأولى للفوضى التى وقعت فى ذلك اليوم، كان هناك العديد من التقارير الكاذبة المرعبة، و منها أن طائرة سقطت قرب منتجع كامب ديفيد الرئاسى و أخرى عند الحدود ما بين أوهايو و كنتاكى، و أن سيارة مفخخة انفجرت خارج وزارة الخارجية، و أن انفجاراً وقع بالقرب من الكابيتول، و أن طائرة تتجه بأقصى سرعتها إلى مزرعة الرئيس بوش فى كراوفورد بولاية تكساس.

و تلقى عملاء المخابرات أوامر بإخلاء البيت الأبيض فى التاسعة و خمس و أربعين دقيقة، بل و صدرت التعليمات للنساء بخلع أحذيتهن حتى يتمكن من الجرى بسرعة أكبر، و سرت نصائح لبعض موظفى البيت الأبيض بضرورة نزع بطاقات الهوية من على صدورهم حتى لا يمكن التعرف عليهم من قبل أى عناصر مهاجمة قد تلقاهم خارج بوابات البيت الأبيض !!

و فيما عدا أولئك الذين تم دفعهم إلى المخبأ السرى تحت الأرض فى البيت الأبيض، لم يكن هناك أى أحد يدرك إلى أين يمكنه أن يذهب أو ما الذى يتوجب عليه عمله أو مَنْ من المسئولين يمكنه الاتصال به أو حتى كيف يمكن للناس أن يتصلوا ببعضهم البعض.

وفى الملجأ، لم تكن أجهزة التكييف تعمل بكفاءة، و إن كانت وسائل الاتصال المرئى بالبنتاجون و وزارة الخارجية و المخابرات فى حالة جيدة، لكن لم تكن هناك أية وسيلة لنقل الأحداث من هذا الملجأ إلى شاشات التليفزيون، و لم يكن هناك أى سبيل يصل ما بين مسئولى الحكومة و الشعب الأمريكى.

وفى مبنى الكابيتول كانت الفوضى أكثر وضوحاً.. فمن داخل الملجأ أصدر تشينى أوامره باستخدام الخطة السرية (لاستمرار الحكومة) و هى الأوامر التى أفضت لإخلاء

المستويين الثالث و الرابع بعد المتحدث الرسمى باسم مجلس النواب دينيس هاستر النائب الجمهورى، و هكذا تخير أغلب النواب إما أن يعودوا لبيوتهم كالسيناتور الديمقراطى روبرت بيرد، و تاه معظم قادة الكونجرس حيث لم تكن هناك أى خطة للتعامل مع مثل هذا الموقف.. و لقد أصدرت شرطة الكابيتول أوامرها بإخلاء المبانى بعد فترة قصيرة للغاية من الهجوم على مبنى البنتاجون !!

الساعة ١٠,٣٢ صباحاً ـ الرئيس من على متن طائرة الرئاسة: واشنطن مازالت مهددة

اتصل تشينى بالرئيس بوش الذى كان متواجداً على متن الطائرة الرئاسية (رقم واحد بالقوات الجوية) و هى فى طريقها من فلوريدا إلى واشنطن، ليقول له إن البيت الأبيض قد تلقى للتو تحذيراً بوجود خطر يتهدد طائرة الرئيس، و كان القائم بالاتصال يستخدم شفرة (الملاك) فى إشارة إلى طائرة الرئيس ظناً منه أن الارهابيين مطلعون على الموقف داخل الطائرة، و من ثم تم اخطار قائد الطائرة الرئاسية أن هناك طائرات مقاتلة ستصحب طائرة الرئيس بعد ٤٠ إلى ٩٠ دقيقة لحمايتها.

وهنا أخبر الرئيس بوش أحد معاونيه أن طائرة الرئاسة ستكون هدفاً تالياً فى لهجة غاضبة، و رد على تشينى بقوله : علينا أن نعرف من هؤلاء ومن قام بهذه الأعمال وسنخوزقهم !!

كانت طائرة الرئاسة لاتزال فى مسارها عندما اتصل تشينى مرة ثانية فى تمام العاشرة و الدقيقة ٤١ صباحاً، هذه المرة اتصل ليحث الرئيس على عدم العودة، إذ قال نائب الرئيس لبوش : واشنطن مازالت مهددة، و لقد كانت كوندوليزا رايس توافقه الرأى على هذا المطلب و قالت للرئيس الكلام نفسه.

و خلال دقائق، كان لدى كل من على متن الطائرة الرئاسية إحساس بأن الطائرة تميل بغتة وتتقلب إلى اليسار بحدة، حيث كان مسارها فى هذا الوقت باتجاه الغرب إلى قاعدة باركسدال الجوية فى لويزيانا، و الحق أن الطائرة كان بها ما يكفيها من وقود ومؤن و وسائل اتصالات جيدة فى خدمة الرئيس.

و مع الوقت تم الكشف عن أن التهديدات بخصوص الطائرة الرئاسية كانت زائفة، فلقد سمع بعض أفراد البيت الأبيض عن تهديد طائرة الرئاسة من خلال مكالمة هاتفية ومن ثم تقرر نقل هذا التهديد من خلال خط التليفون باستخدام شفرة (الملاك)، و لقد استغرق الأمر أياماً فى التحليل حتى تبين زيف هذا الادعاء وقبل ان يعلن البيت الابيض على الملأ انه لم تكن هناك أية تهديدات للطائرة الرئاسية.

و فى الوقت الذى كانت فيه طائرة الرئيس بوش تتقدم باتجاه قاعدة باركسدال الجوية، اتصل الرئيس الروسى فلاديمير بوتين بالبيت الأبيض راجياً أن يتحدث إلى الرئيس بوش، و لقد تلقت كوندوليزا رايس المكالمة حيث اخبرها الرئيس الروسى ان الروس قد قرروا إنهاء مناوراتهم العسكرية لإظهار التعاطف و المساندة مع الولايات المتحدة.

وكانت التقارير الصحفية قد اظهرت واشنطن على انها مدينة اشباح، حيث تم إخلاء البيت الأبيض و مبنى الكابيتول كما تم تفريغ المبانى الفيدرالية الحكومية من البشر وباتت الشوارع و كأنها فى حالة حظر تجول، و من خلال الملجأ تحت الأرض كان تشينى وغيره قد بدأوا يشعرون بالقلق من أن باقى الولايات المتحدة و عواصم العالم قد أصبح بوسعها أن تجزم أن الحكومة الأمريكية لم يعد لها وجود.

كانت كارين هجز مستشارة البيت الأبيض فى بيتها شمال غربى واشنطن عندما تلقت بطريق الفاكس رسالة تقول أن (الملائكى) يحاول الاتصال بها، و لقد اندهشت كثيراً قبل أن تتبين أن (الملائكى) هو الاسم الحركى لنائب الرئيس الأمريكى، و طلب منها تشينى أن تقوم بإعداد بيان رئاسى يمكن لبوش أن يلقيه فور أن تحط طائرته على مدرج مطار قاعدة باركسدال الجوية، و شاركت زوجة تشينى التى قام رجال المخابرات بجلبها على الفور إلى الملجأ و مستشارة تشينى مارى ماتالين فى إعداد هذا البيان الرئاسى، لكن كارين سرعان ما قاطعت تشينى قائلة: «انتظر لحظة، إننا لسنا ضحايا لأى شىء، ربما كنا مستهدفين و قد هوجمنا و لكننا لسنا ضحايا».

لقد أصر الرئيس بوش على أن يكون أول المتحدثين للحكومة، لكن فريقه فى واشنطن تنامى إحباطهم مع مرور الوقت الذى استغرقه فى الوصول إلى القاعدة الجوية و بداية ظهوره أمام الكاميرات، و اقترحت كارين أن يتم عقد لقاء صحفى مع الرئيس من خلال وكالة أسوشيتدبرس حتى يتأكد للعامة أن الحكومة مازالت قائمة و أنها تقوم بواجباتها. ولقد حاولت الاتصال بالرئيس من خلال عامل التحويلة بالبيت الأبيض، لكن ذلك الأخير أجاب مطلبها بقوله : سيدتى لا يمكننا الوصول إلى طائرة الرئاسة.

الساعة ١١,٠٨ ليلاً ـ بوش فى البيت الأبيض : أعتقد أنه بن لادن !!

بعد أن عاد الرئيس الأمريكى بسلام إلى مقره الرئاسى كان رجال المخابرات يطوقونه هو و زوجته، و صحبهم رجال المخابرات للأسفل حيث يوجد المخبأ على عجل بسبب ورود تقارير عن اقتراب طائرة غير محددة الهوية من المنطقة، و كان بوش يرتدى شورتا و قميص تى شيرت و هو يهرع فى النزول للملجأ و خلال الوقت الذى قضاه و هو يجتاز النفق الموصل إلى الملجأ تبين زيف الإنذار و قد عاد بوش إلى مقر إقامته ليقضى بقية الليل.

و كوالده تماماً، يحتفظ بوش بمفكرة يدون فيها الأحداث اليومية وملاحظاته وخواطره، و خلال هذه الليلة كتب فى مفكرته : اليوم وقعت بيرل هاربور القرن الحادى والعشرين، نعتقد أنه أسامة بن لادن، و نعتقد أن هناك أهدافاً أخرى سيتم مهاجمتها فى الولايات المتحدة، و لكننى أناشد البلاد أن تعود لحياتها الطبيعية، لا يمكننا أن نسمح لأى إرهاب بأن يتخذنا كرهائن، و أملى هو أن يتيح ماحدث لنا الفرصة لأن نقود العالم ضد الإرهاب.

□□□

Bush at War

4

الطريق إلى كابول

حرب بوش

أسلوب بوش فى القيادة يقف على حافة الاندفاع والتعجل.. إنه يريد الحلول السريعة ويندفع إلى الأفعال.. و عندما يشرع فى تنفيذ سياسة أو مشروع ما فإنه يواصل السير و نادرا ما ينظر إلى الوراء.. يسخر من الشكوك، ولا يرضى بأقل من الالتزام الكامل بنسبة مائة فى المائة.



أمام سيل من انتقادات الإعلام الأمريكى لمسار الحرب فى أفغانستان، دعا بوش كبار مساعديه إلى التحلى بالصبر وعدم التحول عن استراتيجية الحرب المرسومة أمام الضغط الاعلامى.

فى محادثة هاتفية مساء ٢٥ أكتوبر ٢٠٠١، طلبت مستشارة الأمن القومى الامريكى كوندوليزا رايس من آشلى ايستيس، السكرتير الخاص للرئيس جورج بوش، ان يستفسر من الرئيس عما اذا كان مناسبا ان تزوره لعدة دقائق بمقر سكنه بالبيت الابيض. وهل يمكن لرايس ونائب الرئيس ديك تشينى وعدد من كبار المسئولين أن يقابلوا بوش دون ترتيب مسبق.

عندما وصلت رايس بعد عدة دقائق إلى «تريتى روم» بادرها بوش بالسؤال: «ماذا وراءك؟» كانت تلك نهاية يوم عادى من ايام بوش، وكان الوقت السادسة والنصف مساء، وكان بوش قد فرغ لتوه من تمارينه الرياضية اليومية ولم يخلع زيه الرياضى بعد. لكنه لم يكن يتصبب عرقا، فقد ارتاح قليلا وكان فى أفضل حالاته لمثل تلك المحادثة.

قبل اكثر من أسبوعين بقليل منذ بداية القصف الاميركى فى أفغانستان، لم يكن التحالف الشمالى، ذلك الائتلاف الهش بين أمراء الحرب الذين كانوا يحاربون طالبان، قد حقق تقدما كبيرا فى ميدان المعركة. وفى اجتماع لمجلس الأمن القومى قبل يومين من ذلك التاريخ طرح ديك تشينى القضية الجوهرية وقتها: «هل ننتظر التحالف الشمالى، أم

نتصدى للأمر بأنفسنا؟ وهذا بالطبع مشروع مختلف جدا عن التصورات التى كانت سائدة». وكان وزير الدفاع دونالد رامسفيلد يعكف سرا على وضع خطط بديلة بنقل ٥٠ الف جندى امريكى إلى المعركة اذا كان ذلك هو الطريق الوحيد إلى النصر.

وفى اجتماع آخر لمجموعة الكبار من مسئولى الإدارة، عبر هؤلاء عن خيبة أملهم الكبيرة فى الجنرال محمد فهيم، قائد التحالف الأفغانى الذى وعد بالتحرك وعجز عن التقدم. وقدمت وكالة المخابرات المركزية (سى. آى. ايه) معلومات تقول ان قوات طالبان المواجهة لخطوط محمد فهيم زادت زيادة مدهشة بلغت ٥٠٪. وكانت صور الاقمار الصناعية وغيرها من مصادر المعلومات قد قدرت قوات طالبان فى تلك الجبهة بين ٦ و١٠ آلاف، ولكنها الآن ارتفعت إلى ما بين ١٠ و١٦ الفا. ولم يكن احد يعلم كيف حدث ذلك.

رايس والبحث عن حلول

تنظر رايس إلى مهمتها باعتبارها ذات وجهين: اولا: التنسيق بين وزارة الدفاع والخارجية والـ«سى آى ايه»، للتاكد من تنفيذ أوامر الرئيس. وثانيا: أن تلعب دور المستشارة، أى تقدم تقييمها الخاص إلى الرئيس. وان تفعل ذلك على الدوام عندما يطلبه منها الرئيس، وان تفعله فى بعض الاحيان دون طلب منه. قال بوش فى مقابلة اجريت معه: «إنها لا تهمل شيئا ابدا. وهى ترعانى على الدوام».

بمعنى آخر هى ملاذ الرئيس فى البحث عن الحلول.

قالت للرئيس: جنوب أفغانستان أصبح فارغا، والشمال لا يتحرك قيد أنملة. «لقد قمنا بقصف كل شىء يمكن أن يكون هدفا للقصف، ومع ذلك لم نحقق شيئا».

حينها جلس بوش، فالامر يحتاج إلى الانتباه.

«أنت تعرف، سيادة الرئيس، أن الحالة المعنوية لكبار المسئولين ليست جيدة. وبدأ الناس يتساءلون حول حقيقة الأمر».

كانت رايس تشير إلى أعضاء مجلس الحرب من كبار الوزراء. وقالت إن هناك نوعا من الضغوط ولىّ الايادى يمارس حاليا.

مال الرئيس فجأة إلى الأمام وتساءل: لولىّ الايادى؟ إنه يكره كراهية لا حدود لها ان يحدث مثل هذا الشئ وان يحدث فى مثل هذه الاوقات العصيبة. كان قد سمع بعض الحكايات من كبار مستشاريه: كارين هيوز وكارل روفه ولكن ليس اكثر من ذلك.

تساءلت رايس: أود ان أعرف ما اذا كنت قلقا من حقيقة أن الأمور لا تتحرك كما ينبغى؟

فقال بوش: هل تريدين الشروع فى التفكير فى استراتيجيات بديلة؟

وواصل الرئيس، وكأن المسالة لم تطرأ له مطلقا قبل ذلك: ما هى الاستراتيجيات التى يمكن أن نفكر فيها يا ترى؟

اسلوب بوش القيادى يقف على حواف التعجل. إنه يريد الحلول ويندفع إلى الأفعال. وعندما يشرع فى تنفيذ سياسة او مشروع ما، فانه يواصل السير ونادرا ما ينظر إلى الوراء، يسخر من الشكوك ولا يرضى بغير التزام كامل بنسبة ١٠٠٪.

ولكن إعادة النظر المتفحصة جزء لا يتجزأ من أية عملية اتخاذ قرار. وشعرت رايس أن واجبها ان ترفع علامات التنبيه، بل حتى الإشارات الحمراء، لحمل الرئيس على اعادة التفكير. فى بعض الاحيان يكون افضل القرارات هو الغاء قرار سابق. والآن اصبحت الأحداث نفسها علامات الخطر. وربما يكون الوضع الجامد فى افغانستان نذيرا بمشاكل كبرى فى الطريق. بالإضافة إلى ذلك، صارت وسائل الاعلام تثير الاسئلة حول التقدم والاستراتيجية والجداول الزمنية والتوقعات. وقد استخدمت مجلة نيوز ويك الكلمة الممقوتة: المستنقع، مثيرة كل ذكريات فيتنام.

قالت رايس: هناك دائما الفكرة القائلة إنك يمكن أن تشرك مزيدا من الأمريكيين فى هذا الامر. إنك تستطيع أمركة الحرب بصورة كاملة.

هذا يعنى إشراك فرق عديدة من جنود القوات المسلحة، ومن مشاة البحرية، والفرقة تتكون عادة من ١٥ إلى ٢٠ الفا من الجنود.

- علق الرئيس: «ولكن لم يمض وقت طويل على بداية الحرب هناك».

- «هذا صحيح».

- «هل تعتقدين ان الامور تسير على ما يرام».

- لكن رايس لم تعط اجابة محددة.

- قال الرئيس: «نحن لدينا خطة جيدة. هل أنت واثقة من نجاحها؟».

تراجعت رايس عن قصد. لم تكن راغبة ان يكون لها موقف صارم، اذ ربما يؤدى ذلك إلى الانحراف بالنقاش واغلاق الابواب امام البدائل. وفى نفس الوقت لم تكن متأكدة. وربما يكون الوضع مريحا بالنسبة إليها عندما تعرف بالضبط ما يفكر فيه الرئيس، ولذلك تدفعه للتعبير عن آرائه. وكان الرئيس يشعر انه يسير فى الاتجاه الصحيح ولم يفكر مطلقا فى تغيير اتجاهه او استراتيجيته.

قالت له ان من المهم ان يتحسس آراء مستشاريه الكبار صباح غد، واذا كان ملتزما باستراتيجيته، فان من الافضل ان يعرف الناس ذلك. فهو لا يريد لأحد من مساعديه أن يتخلف عن الصفوف.

تساءل الرئيس وقتها عمن يمكن أن يتخلف عن الصفوف؟ من الذى استبد به القلق؟ كان يريد أن يعرف كل شىء وأن يدون الاسماء.

قالت له إن القلق شامل للجميع. لا يوجد من المسئولين من يشعر بالارتياح الكامل لهذا الوضع. الكل يتساءل عما أنجزوه وما يمكن ان ينجزوه. هو سمع بعضهم وهى سمعت الكثير فى هذا الصدد. وسيكون عليه ان يتخذ قرارات بالغة الصعوبة فى القريب العاجل. وتتعلق هذه القرارات بما اذا كانوا سيواصلون ما بدأوه أم انهم سيغيرون الاتجاه، أو يدخلون بعض التعديلات على الاقل. وذكرت له ان مجلس الامن القومى سيجتمع صباح اليوم التالى.

وسيكون هذا هو الوقت إما لتأكيد صحة الاستراتيجية او التفكير فى تغييرها. كان الشتاء يدق الأبواب فى افغانستان. وستكون الظروف قاسية وربما تصبح أية انتصارات على الارض أكثر صعوبة مما هى عليه حاليا.

قال الرئيس: «أعتقد أنه سيكون جيدا أن تعبرى عن ثقتك فى هذه الخطة. أما إذا كنت لا تشعرين بذلك، فيجب ان نفكر فى شىء آخر».

هل يحتاجون إلى استراتيجية بديلة؟

قالت له ان الامر المهم هو أن يفكر الرئيس فى الامر قبل عرضه على مجلس الأمن القومى صباح اليوم التالى. ويمكن أن يطرح آراءه داخل الاجتماع. وقالت فى ختام اللقاء الذى استمر بين ١٥ و٢٠ دقيقة: «من المهم ان تتحدث عن ذلك».

وقال لها الرئيس: «سأهتم بهذا الامر».

صباح إليوم التالى، وقبيل اجتماع مجلس الامن القومى، تحدث بوش إلى تشينى عما قالته رايس. وطرح على تشينى السؤل التالى: «ديك هل لديك أية.. هل هناك اية شكوك فى ذهنك حول هذه الاستراتيجية التى طورناها؟ لقد قضينا وقتا طويلا فى إعدادها».

قال نائب الرئيس:«مطلقا، سيدى الرئيس».

عندما بدأ الاجتماع فى «ستيويشن روم» بالبيت الابيض، قرر بوش أن يسير الاجتماع وفق جدوله الروتينى على ان يطرح الموضوع فى النهاية.

قال بعد تقديم التقارير: «اريد ان أتأكد تماما من أننا جميعا موافقون على هذه الخطة». وتفرس بعد ذلك فى كل وجوه الحاضرين. فى مثل هذه اللحظة يكتسب بوش بعض ملامح حكام البيسبول أو الاخ الاكبر. انه يميل إلى الامام ويحتفظ برأسه فى ذلك الوضع، ويتفرس فى الوجوه وينظر فى العيون ويظل على هذا الوضع وملامحه تقول: أنت توافقن اذن، أليس كذلك؟

كانت اسئلة الرئيس هى التالية: هل نسير فى الاتجاه الصحيح؟ هل نحن واثقون مما نفعل؟ وكان يريد جوابا دقيقا عن هذه الاسئلة من كل واحد من مستشاريه: تشينى، وزير الخارجية كولن باول، رامسفيلد، مدير السى آى ايه، جورج تينيت ورايس. بل حتى من أصحاب المقاعد الخلفية مثل ستيفن هادلى، نائب مستشارة الأمن القومى ولويس ليبى «سكوتر»، رئيس موظفى نائب الرئيس. ويكاد ان يطلب من هؤلاء أن يؤدوا القسم على ما يقولون.

واحدا إثر واحد، اكد المسئولون ولاءهم للخطة والاستراتيجية.

«هل هناك من لديه أفكار يود طرحها على الطاولة؟».

اجاب الجميع بالنفى.

كانت رايس تعتقد ان الرئيس يتحمل النقاش، وسيستمع إليه، ولكن كل من يرغب فى النقاش عليه ان يأتى بافكار جيدة، أو، وهذا افضل من ذلك، ان يأتى بحل او اقتراح يمكن ان يؤدى إلى حل. وكان واضحا أنه لا احد فى ذلك الاجتماع لديه أفكار أفضل.

وفى الحقيقة فان الرئيس لم يفتح الباب، بل لم يفتح حتى كوة صغيرة، تسمح لاى شخص بالتعبير عن الشكوك او المخاوف، أو الافكار الطارئة، ولم يكن فى الواقع يستمع لأحد. كان راغبا فى الحديث. وكان يعرف انه يتحدث اكثر مما يجب فى كثير من الاحيان، وكأنه يحدث نفسه بصوت عال. وكان يعرف أن تلك لم تكن عادة طيبة.

قال بوش: «تعرفون، أن علينا ان نتحلى بالصبر. لان لدينا خطة جيدة. وانتبهوا، اننا ندخل مرحلة خطيرة. وسائل الاعلام ستحاول العثور على خلافات وسطنا. وسيحاولون ان يفرضوا علينا استراتيجية لا تؤدى إلى النصر».

وفى اطار من السرية السائدة داخل الغرفة عبر الرئيس عن احدى النتائج التى توصل إليها حينما قال: وسائل الاعلام، أو على الاقل بعضها، لا تريد النصر أو تتصرف وكأنها لا تريده.

«لم تمض علينا سوى أيام ونحن ننفذ هذه الخطة. لا تعطوا لوسائل الإعلام فرصة لاشاعة الذعر فى اوساطكم». ستقول وسائل الاعلام إنهم يبحثون عن خطة جديدة وان خطتهم الحالية قد فشلت. وكان يرفض ذلك.

«عليكم مقاومة المراجعات وتحلوا بالصبر والثقة. نحن سنواصل هذا الأمر حتى نهاية رمضان، وسنحتفظ بهدوء اعصابنا ورزانتنا وسيكون كل شىء على مايرام فى نهاية المطاف».

شعر هادلى ان التوتر زال تماما من الغرفة. قال الرئيس إنه مفعم بالثقة وهكذا يجب ان يكونوا هم ايضا. وقال هادلى إن بعض الحاضرين كانوا يتساءلون فى قرارة انفسهم عما اذا كان الرئيس قد فقد الثقة فيهم هم. ومن المعلوم ان ثقة الرئيس تصبح بمجرد الحصول عليها شرطا جوهريا لنجاح كل منهم فى اداء مهمته. وستكون أية إشارة إلى ان هذه الثقة قد اهتزت باى مستوى، قاصمة للظهر. كانوا يؤدون عملهم كما يشاء هو. ويمكن ان يفقدوا وظائفهم فى لمح البصر. والامر الحيوى هو ان بوش لم يعبر فقط عن ثقته فى استراتيجيتهم، بل عبر عن ثقته فى اشخاصهم، وقد اعلن ذلك كما قال هادلى.

اجتاحت تينيت الرغبة فى ان يقف ويهتف. وعاد إلى رئاسة الـ «سى. آى. إيه» وابلغ كبار قادة الوكالة بما قاله الرئيس، وقال لهم إن معنى رسالة الرئيس فى غاية البساطة: «سيروا إلى الامام».

وتعتقد رايس ان تلك كانت من أهم اللحظات. اذا كان الرئيس قد فتح الباب لطرح البدائل، فان مجلس الحرب كان سيفقد نقطة التركيز وهى العمل على انجاح الاستراتيجية وكان سيلتفت إلى التفكير فى البدائل. وكانت تأمل ان اعادة تأكيد الالتزام ستدفع كل واحد لمضاعفة جهوده لتنفيذ الاستراتيجية الحالية التى باركها الرئيس بصورة كاملة.

ابلغ رامسفيلد بعض مساعديه ان الرئيس كان قويا بصورة استثنائية فى ذلك الصباح ولكنه لم يعط اية تفاصيل. اما باول فقد كان قلقا من الوضع الأفغانى ولكنه لم يكن يعتقد انهم قد وصلوا إلى مرحلة المستنقع بعد.

أثناء المحادثة الهاتفية المؤمَّنة التى أجراها رامسفيلد مع الجنرال تومى فرانكس، القائد العام للقيادة المركزية، يوم ٢٧ اكتوبر، كان وزير الدفاع يريد أن يتأكد انهم يخططون مسبقا لكل الاحتمالات بما فيها أسوأها، إذا كان ذلك ضروريا.

فلنفترض أن المعارضة الافغانية، المعارضة الشمالية، القوة المرتزقة التى كانت تدفع لها السى. آى. إيه»، لم تكن قادرة على إنجاز المهمة، فى هذه الحالة يجب ان يفكروا فى

احتمال إرسال قوات أمريكية كبيرة إلى هناك. كان الجنرال بيتر بيس، نائب رئيس هيئة الاركان المشتركة يسجل بعض النقاط فى كراسة بيضاء. وقد سجل العبارات التالية: «عليكم ان تكونوا جاهزين للتدخل.. حرب برية كبيرة.. إما أن نخوضها وحدنا وإنما مع بعض الحلفاء.. عملية التنظيم لشنها ستكون مفيدة جدا.. سيصبح الأمر واضحا وسيعلم الناس أننا جادون، وأننا آتون. واذا لم تغيروا مواقعكم الآن فاننا سنستمر فى هذه العملية».

اتفق رامسفيلد وفرانكس على تكثيف القصف على مواقع طالبان كما طلب ذلك التحالف الشمالى. وما دامت الفرق الأولى من القوات الخاصة الأمريكية قد وصلت إلى افغانستان فان تنفيذ هذه المهمة اصبح ممكنا. ولكن الوزير والجنرال عبرا عن شكوكهما فى مقدرة التحالف والجنرال فهيم، الذين كانوا يبطئون التحرك عن عمد فى نظر الأمريكيين.

كانت رايس والمسئولون الآخرون يجلسون على الجمر وهم يشهدون ذبح الإدارة على صفحات الصحف ونشرات وسائل الاعلام. وفى صباح الثلاثاء ٣٠ اكتوبر، قام اثنان من قادة المحافظين، أى الحلفاء الطبيعيين لبوش، بالهجوم على المجهود الحربى على صفحات «واشنطن بوست» وقال وليام كريستول: «إنها خطة خاطئة» لانها فرضت على نفسها قيودا لا ضرورة لها. وقال تشارلز كراوتهامر ان الحرب تخاض وفق «اجراءات غير حاسمة».

فى ٣١ اكتوبر اطلع بعض اعضاء مجلس الحرب على تحليل أعده ر. ابيل من «نيويورك تايمز»، جاء فيه: «هل يمكن لافغانستان ان تصبح فيتنام اخرى؟ هل تواجه الولايات المتحدة عقدة بلا حل على الجانب الآخر من العالم؟ وربما تكون الاسئلة سابقة لأوانها بعد ثلاثة اسابيع من بداية القتال. ولكنها مع ذلك أسئلة ملائمة ومعقولة».

فى بداية ذلك الاسبوع أدلى محلل سياسى كان يتحدث فى برنامج «ساعة اخبارية» مع جيم ليرر بأكثر التعليقات قسوة عندما قال ان جورج بوش يمارس «منهج بيل كلينتون فى الحرب..أى الاكتفاء بالاهداف الصغيرة».

وفى اجتماعه مع كبار مساعديه يوم الاربعاء عبر بوش عن غضبه الشديد على وسائل الاعلام. قال الرئيس: «انهم لا يستوعبون القضية. كم مرة نقول لهم إن هذا نوع مختلف من الحروب!! وهم لا يصدقون ذلك. إنهم يبحثون عن الطريقة التقليدية، وهذا ما لن يجدوه هنا. تحدثت لكم عن الصبر. من المدهش كيف ينسى الناس سريعا ما نقوله لهم، على الأقل هنا فى واشنطن».

الحكايات التى كانت تتردد عن المستنقع لم تكن تعنى لديه شيئا. كانت لديهم خطة جيدة وقد وافقوا عليها جميعا.

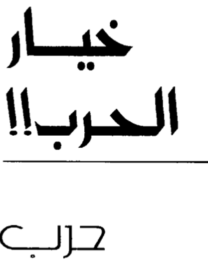
لماذا اذن نلجأ إلى مراجعتها فى هذه المرحلة المبكرة؟

صرح رامسفيلد فى ذلك إليوم بأنه يتابع تعليقات الاخبار حول «المستنقع» فى افغانستان. وقال فى التقرير المنتظم الذى يقدمه فى البنتاجون، متفاديا الظهور بمظهر المدافع: «يجب ان اقول إننى اعتبر هذه الاختلافات فى الآراء مفيدة وتعليمية وتزيد حصيلتنا من المعلومات».

ولكنه قال لكبار مساعديه انه يعتبر هؤلاء الكتاب ومقدمى البرامج التليفزيونية «كمتحذلقى كى ستريت» وهو يعنى المسئولين الحكوميين السابقين الذين يحتلون ممرات كى ستريت وسط المدينة، وهو شارع يزدحم بما لا حصر له من بيوت الخبرة والاستشارات ومراكز البحوث. ويعتبر رامسفيلد ان كى ستريت هو الملاذ بالنسبة لعدد غير محدود من أولئك الذين فشلوا فى الحصول على وظائف حقيقية، أو اولئك الذين لا يجدون فى انفسهم الجرأة على ترك مدينة واشنطن عندما فقدوا وظائفهم السابقة. قال: «بالطبع هذا ما يقولونه. إن ذاكراتهم مثل ذاكرة البعوض من حيث قصرها». وهو يقصد أن صناعة الاخبار تعيش على الاستعجال وخلق التوقعات. وهو مقتنع تماما بان عامة جماهير الشعب اكثر واقعية واكثر صبرا.

□□□





حرب بوش

Bush al War

«هناك عدو.. ليس له شكل محدد أعلن الحرب على الولايات المتحدة.. و لهذا فنحن الآن فى حالة حرب»..

الرئيس بوش



قال باول فى بداية اجتماع مجلس الامن القومى، يوم الجمعة التالى، الثانى من نوفمبر: «هناك ضجة بوسائل الإعلام».

كلمة ضجة والتى تعبر عن بعض الحقيقة وليس كلها، جعلت البعض يرسل ضحكات خافتة. وأضاف باول بثقة: «دول التحالف ما تزال تقف إلى جانبنا».

بعد تقرير قدمه فرانكس قال تشينى مخاطبا اياه ورامسفيلد: «ربما نحتاج إلى التفكير فى إعطائكم مزيدا من الموارد، وجدولا زمنيا مختلفا، ومزيدا من القوات ووتيرة اعلى من العمليات».

كان فرانكس ومساعدوه وهيئة الاركان المشتركة يحاولون تقبل ضرورة إرسال قوات أمريكية برية بأعداد ضخمة إلى أفغانستان. وكان الحديث يدور عن إعداد مثل ٥٠ إلى ٥٥ ألفا من الجنود. وكانت تلك اعدادا ضخمة، تستدعى إلى الاذهان ذلك النوع من الحروب البرية التى يقول التاريخ العسكرى انها يجب تفاديها بكل السبل فى آسيا، ومهما كان الثمن.

كان الرئيس على علم بعدد القوات التى ينبغى ارسالها. وقال فى مقابلة فيما بعد إنه كان يفكر فى «السيناريو الذى ربما يفرض علينا ارسال ٥٥ الفا من الجنود إلى هناك».

تساءل باول: ما هو حجم قوات المعارضة؟ هل من الضرورى أن نقوم بتدريبهم؟ كان باول يعرف من تجربته العسكرية التى وصلت إلى ٣٥ سنة، ان التدريب يمكن ان يحقق الكثير. ولكن لا باول ولا غيره من المسئولين كان مهيأً لإجابة فرانكس. «ليس لدى اية ثقة فى المعارضة». وقال إنه لا يدرى ما اذا كان من الممكن تدريبهم ام لا.

وكان يشعر بالإحباط الشديد من موقف الجنرال فهيم الذى توفرت لديه كل الموارد ولكنه غير قادر مع ذلك على الحركة. وعلى العكس منه فإن الجنرال عبد الرشيد دوستم الذى يقود مجموعات من الفرسان، كان شرسا وميالا للهجوم، مثل الجنرال جورج بيتون. «يقطع دوستم ١٠ إلى ١٥ ميلا فى اليوم وسط العواصف الثلجية والرياح، وجنوده لا يملكون شيئا. وهم يهاجمون موقعا متقدما من مواقع طالبان ويسقط من بينهم الضحايا مع انهم يعلمون ان العناية الصحية لا تتوفر لديهم».

ولكن فرانكس قال: رغم أنه فقد الثقة بالمعارضة ولكنه مع ذلك سيستمر فى تنفيذ الاستراتيجية الحاضرة. «ولكننا سنواصل التخطيط فى الوقت نفسه لمعرفة ما اذا كنا نحتاج إلى تلك الاشياء التى تحدث عنها نائب الرئيس أم لا».

لم يكن الرئيس يعرف أن تشينى سيثير تلك القضايا، ولكنه توصل إلى انه عندما يطرح تشينى بعض الأسئلة فان من المفيد الاستماع إليها. وكان يريد من فرانكس ان يفكر فيها بجدية. وجه بوش سؤاله إلى فرانكس: «متى تستطيع أن تزودنى ببعض الخيارات؟ فى الاتجاه الذى تحدث فيه نائب الرئيس». واجاب الجنرال: «اسبوع واحد. ولمجموعة صغيرة جدا».

كان بوش قد وجه سؤالا إلى فرانكس من قبل حول نوعية رد الفعل الممكن إذا وجهت «القاعدة» ضربة أخرى كبيرة إلى الولايات المتحدة فى أراضيها، وكان هو يريد ان يصعد المواجهة معها؟

ولذلك قال فرانكس: «أنا مدين لك كذلك بتقديم خيارات اذا تلقينا ضربة أخرى».

فى اجتماع عقده يوم الخميس ٨ نوفمبر، مع كبار مساعديه، قال تينيت: «ربما نحتل مزار الشريف خلال ٢٤ إلى ٤٨ ساعة». ولكن المساعدين لم يكونوا واثقين تماما فيما سمعوا. كان دوستم وقائد أفغانى آخر يحاصران مزار الشريف، اكبر المدن الافغانية بالشمال. «كان احدهم على بعد ٨ كيلومترات والآخر على بعد ١٥ كيلومترا من المدينة».

فى اجتماع مجلس الأمن القومى يوم ٩ نوفمبر، قدم فرانكس تقريرا جاء فيه:

«نحن نرسل حاليا بين ٩٠ إلى ١٢٠ طلعة فى اليوم الواحد، ٨٠ إلى ٩٠٪ منها تذهب لمساعدة المعارضة. ونحن نركز حاليا على مزار الشريف».

قال انهم يقدمون امدادات و مساعدات إلى خمسة من زعماء القبائل العشرة.

«نقدم لهؤلاء ملابس الشتاء والذخائر. ونقوم بتجميع هذه الحزم بولاية تكساس ونخزنها فى المانيا. ونستغرق يومين لنقلها إلى المانيا. ونقوم بتوزيعها بعد يومين او ثلاثة». ومن الواضح ان خط الامدادات اصبح يمكن الاعتماد عليه.

«بنهاية هذا الشهر ستكون لنا قوة ممتازة حول مزار الشريف. ونحاول حاليا العمل على تحريك فهيم خان». وقال فى الختام: «علينا ان نكون متواضعين فى توقعاتنا».

بعد الغداء ببعض الوقت، جاء الليفتانت كولونيل بالجيش، تونى كروفورد، وهو مختص بالاستخبارات ومساعد تنفيذى لرايس، إلى مكتب الاخيرة بالجناح الغربى.

«سقطت مزار، وصلت اخبار تفيد أن مزار قد سقطت».

تساءلت رايس: ماذا يعنى هذا؟ هل يعنى أنهم الآن فى وسط المدينة؟ ماذا يعنى القول إن مزار قد سقطت؟ قال كروفورد إنه سيعرف حالا ماذا يعنى هذا.

عاد بعد فترة قصيرة ليقول إن قوات دوستم تحتل وسط المدينة بالفعل. وقال ان المواطنين خلعوا ملابسهم الطالبانية. وانهم يحتفلون بالنصر. الذبائح فى كل مكان. النساء يلوحن ويهزجن ويغنين ويصفقن.

ماذا تفعل مستشارة الامن القومى فى مثل هذه اللحظة؟ التفتت إلى «سى. إن. إن» التى أكدت الخبر، ثم اتصلت هاتفيا برامسفيلد لتبلغه الخبر.

قال لها: «حسنا. سنرى ما حدث بالفعل».

كان يرى ان التقارير الاولى غالبا ما تكون كاذبة، وأن هذا الخبر ربما كان كاذبا. ربما تكون قد سقطت اليوم، وربما لن تكون قد سقطت غدا.

ذهبت رايس لتبلغ الرئيس. كان قد سمع الخبر قبل ذلك. قال لها وهو يحاول السيطرة على حماسته: «هذا جيد»

ولاحظت انه لم يخرج سيجارا ليبدأ بمضغه، وكانت تلك إشارة نموذجية للطريقة التى يعلن بها احتفاله. وبدلا من ذلك تساءل بوش: ثم ماذا بعد؟

وفى اجتماع بعد ظهيرة ذلك إليوم، لم يخف الرئيس دهشته من الطريقة التى سارت بها الامور. «مدهش كيف تحولت الاحداث. هذا مدهش أليس كذلك؟».

و فى مقابلة أجريت وصف الرئيس الامريكى جورج بوش طريقة تفكيره الخاص. قال ان "المفهوم الوقائى لإطلاق صواريخ كروز على خيمة شخص ما هو, "فى الواقع, شىء مضحك. اعنى ان الناس يتصورون ذلك باعتباره تجسيدا لامريكا العاجزة.. بلد مترهل. كفء تكنولوجيا . لكنه بلد غير حازم يكتفى بالاستعداد لإطلاق صاروخ كروز من حاملة طائرات فى البحر".

وأضاف "أعتقد, حقا, أن هناك صورة لأمريكا توحى بأننا ماديون, ولا نسعى إلا إلى امتاع انفسنا, و اننا بلا قيم, واننا عندما نتلقى ضربة, لا نكيل الصاع صاعين. ومن الواضح ان بن لادن شعر بالجرأة, ولم يشعر بالخطر والتهديد من جانب الولايات المتحدة".

وقبل اشهر كثيرة, وفى مرحلة تشكيل ادارته الجديدة, تحدث بوش مع وزير دفاعه المحتمل, دونالد رامسفيلد, حول اعتقادهما المشترك بأن قوة أمريكا الرادعة قد تآكلت عبر سوء إدارة القوة العسكرية للبلاد. ويتذكر رامسفيلد انه قال لبوش انه عندما تتعرض الولايات المتحدة إلى هجوم او تهديد, فان ادارة كلينتون كانت تتبع نموذج "الانسحاب المنظم". واضاف رامسفيلد انه يعتقد ان هناك حاجة لقوة الولايات المتحدة للمساعدة على فرض النظام فى العالم.

وقال رامسفيلد "إننى لم اخلف فى ذهنه شيئا من الشك مؤكدا اننى فى اللحظة التى يحدث فيها شىء ما، سآتى إليه لأميل إلى الأمام وليس إلى الخلف, وإننى أريد منه ان

يعرف هذا الامر"، مضيفا "أنه قال على نحو بعيد عن الالتباس، إن ذلك هو ما سيفعله. وإننا نتمتع بفهم مشترك واضح".

غير أن بوش، حتى وقوع هجمات الحادى عشر من سبتمبر، لم يكن قد وضع ذلك التفكير موضع الممارسة.

ولفترة اشهر كان مستشاروه يعدون خطة لمكافحة الارهاب، وخصوصا بن لادن والقاعدة. ومن بين الاقتراحات كان هناك اقتراح من وكالة المخابرات المركزية بالقيام بعملية سرية واسعة ضد بن لادن. وكانت كلفتها ٢٠٠ مليون دولار.

غير أن توصيات رسمية لم تقدم إلى الرئيس، كما انه لم يطلب هذه التوصيات.

وقال بوش فى مقابلة معه فى ما بعد "أعرف انه كانت هناك خطة فى إطار الاعداد.. ولا اعرف إلى اى مدى كانت الخطة ناضجة". وعن موقفه بشأن بن لادن: قال بوش "كان هناك اختلاف كبير فى موقفى قبل الحادى عشر من سبتمبر. لم اكن فى صميم الموضوع، لكننى كنت اعرف انه يشكل خطرا، وأنه مشكلة. كنت أعرف انه كان مسئولا، او إننا نشعر بأنه مسئول عن التفجيرات السابقة التى قتلت أمريكيين. وكنت مستعدا للنظر فى خطة مدروسة يمكن أن تجلبه إلى العدالة، و أصدر أمرا للقيام بذلك. ولا اشعر بالتردد فى ملاحقته. ولكننى لم أشعر بذلك الالحاح، ولم اكن متحمسا جدا لذلك".

وقبل الساعة الثامنة صباحا يوم ١٤ سبتمبر الماضى بقليل وصل مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية جورج تينيت وأحد كبار المساعدين إلى البيت الابيض لحضور لقاء يقدم فيه للرئيس تقريره اليومى الموجز.

وانضم إليهما نائب الرئيس، تشينى، ومستشارة الأمن القومى كوندوليزا رايس فى المكتب البيضاوى.

وكان بوش الأب، الرئيس السابق، والمدير السابق لوكالة المخابرات المركزية فى عهد إدارة الرئيس فورد، قد قال ذات مرة: إن خلاصة المعلومات الصباحية تعتبر واحدة من أكثر الأشياء اهمية، وكان يقوم بها كل يوم اثناء فترة رئاسته.

وكرئيس جديد دون خبرة واسعة فى السياسة الخارجية, تعامل بوش الابن مع المعلومات على نحو جاد منذ بداية ادارته, وكان يدعو تينيت إلى جلسات نظامية تستغرق ما بين ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة فى معظم الأيام. وكان ذلك تغييرا عما كان فى الادارة السابقة. عندما كان الرئيس بيل كلينتون معتادا على تلقى خلاصاته مكتوبة. وقد تضمنت الخلاصة التى قدمها تينيت إلى بوش هذا الصباح مراجعة للمعلومات المتيسرة فى اطار اقتفاء اثار علاقة الهجمات بابن لادن وكبار مساعديه فى تنظيم القاعدة. واظهر تقرير من قندهار, العاصمة الروحية لحركة طالبان، ان الهجمات كانت "نتيجة لتخطيط دام سنتين". وقال تقرير آخر ان الهجمات كانت "بداية الغضب". وهى ملاحظة مشئومة تنذر بسوء. وشخصت تقارير عدة مبنى الكونجرس فى كابيتول هيل والبيت الابيض كأهداف لهجمات الحادى عشر من سبتمبر. وقال احد التقارير ان مساعدا لابن لادن "كان مسئولا عن تفجير مبنى الكونجرس".

و اشار التقرير إلى ان شخصا رئيسيا فى منظمة يمولها بن لادن زعم ان "البيت الابيض قد دمر" قبل ان يصحح معلوماته فى وقت لاحق. واظهر تقرير آخر ان اعضاء القاعدة فى افغانستان قالوا فى الساعة التاسعة والدقيقة الثالثة والخمسين من صباح ١١ سبتمبر, وبعد فترة قصيرة من ضرب البنتاجون, إن المهاجمين كانوا يتبعون "برنامج الدكتور". وكانت الشخصية الثانية فى منظمة بن لادن هى ايمن الظواهرى, الطبيب المصرى الذى غالبا ما يشار إليه ب"الدكتور", كما هو الحال مع زعيم شيشانى آخر فى القاعدة.

وكان هناك جزء أساسى من الادلة يخص زين العابدين محمد (ابو زبيدة) مسئول الأمن والتدريب فى معسكرات بن لادن الذى وصف فى وقت مبكر باعتباره القائد الميدانى الرئيسى فى هجوم اكتوبر عام ٢٠٠٠ على المدمرة الامريكية كول, والذى اودى بحياة ٧١ ملاحا فى ميناء عدن اليمنى. وكان أبو زبيدة, الذى يوصف بانه واحد من أقسى أعضاء حلقة بن لادن الداخلية, قد اشار إلى "ساعة الصفر" وفقا لتقرير موثوق جرى تلقيه بعد الهجمات الإرهابية. و بالإضافة إلى ذلك فإن لدى وكالة المخابرات

المركزية ومكتب المباحث الفيدرإلى دليلا على وجود صلات بين ما لا يقل عن ثلاثة من الخاطفين التسعة عشر وبن لادن ومعسكرات تدريبية فى أفغانستان.

وبالنسبة لتينيت كان الدليل على تورط بن لادن حاسما. وكما كان الرئيس يعرف كانت لدى وكالة المخابرات المركزية علاقات سرية فى افغانستان, جرى التفويض بها اولا فى عام ١٩٩٨ من جانب كلينتون, واعادة تأكيدها, فى وقت لاحق, من جانب بوش. وكانت وكالة المخابرات المركزية تقدم مبلغ سبعة ملايين دولار سنويا كمساعدة لتحالف الشمال. الذى يضم قوى المعارضة فى الجزء الشمالى من البلاد. والتى كانت تقاتل نظام طالبان الحاكم.

وكانت لدى وكالة المخابرات المركزية ايضا صلات مع زعماء القبائل فى جنوب افغانستان. وكانت لديها ايضا فرق شبه عسكرية سرية تدخل إلى افغانستان وتخرج منها دون علم لسنوات عديدة.

وخلال الاشهر القليلة الماضية, وكجزء من مراجعة الادارة لسياستها بشأن الارهاب. كان تينيت ورايس ومسئولين آخرون, يعملون على خطة لتوسيع هائل للعمل السرى فى افغانستان و انحاء اخرى مختلفة من العالم.

وقام تينيت بابلاغ بوش بأن هناك خطة اوسع ستقدم قريبا لغرض المصادقة عليها. وستكون باهظة الثمن. وقال تينيت ان الفرق شبه العسكرية لوكالة المخابرات المركزية ستكون قادرة على تقديم المساعدة التى لا غنى عنها لأى قوات برية امريكية تقوم بعملياتها لاحقا. قال الرئيس "لا يهم ايا كانت الاموال التى تتطلبها".

وبعد خلاصة المعلومات التقى بوش مع كارين هيوز, المستشارة فى البيت الابيض. التى تعمل مسئولة الاتصالات فى الإدارة, وواحدة من أقرب المؤتمنين على أسرار الرئيس. وابلغ بوش هيوز انه يريد لقاء يوميا لصياغة رسالة الإدارة إلى الأمريكيين حول مكافحة الإرهاب. وقال انها يجب ان تصاغ وفقا لنموذج اللقاءات التى عقدت فى الربيع اثناء الازمة الاولى للإدارة عندما احتجز الصينيون طاقم طائرة التجسس الامريكية لمدة ١١ يوما.

واقترحت هيوز، التى جرى اطلاعها على تفاصيل ذلك اليوم، ان يقوم بوش بالإدلاء بتصريح مبكر، وذكرته أنه بحاجة إلى ملاحظات تخص زيارته إلى البنتاجون التى كان موعدها قد تحدد فى فترة ما بعد الظهر.

وقاطعها قائلا "لننظر فى الصورة الكبيرة. هناك عدو لا شكل محدد له اعلن الحرب على الولايات المتحدة الامريكية. ولهذا فنحن فى حالة حرب".

وأضاف أنهم بحاجة إلى خطة، إلى استراتيجية، بل إلى رؤية لتثقيف الشعب الامريكى لكى يكون مستعدا لهجوم اخر. فالأمريكيون بحاجة إلى ان يعرفوا ان مكافحة الإرهاب ستكون المهمة الرئيسية للادارة والحكومة من الآن فصاعدا.

وعادت هيوز إلى مكتبها فى الطابق الثانى من الجناح الغربى لتبدأ اعداد تصريح يعكس توجيهات الرئيس.

ولكن قبل ان تتمكن من فتح ملف جديد فى كومبيوترها، اتصل بوش واستدعاها ليقول لها عندما عادت إلى المكتب البيضاوى "دعينى ابلغك كيفية قيامك بمهمتك اليوم". وسلمها قطعتين من ورق بهما ملاحظات البيت الابيض وعليهما ثلاث أفكار دونها على عجل بخط يده: "هذا عدو يفر ويختفى، ولكنه لن يكون قادرا على الاختفاء إلى الابد". انه "عدو يعتقد أن ملاذه آمن، ولكنه لن يكون آمنا إلى الابد"، انه "عدو من النمط الذى لم نعتد عليه لكن أمريكا ستتكيف".

اجتماع مثير فى مجلس الأمن القومى

دعا بوش مجلس الامن القومى إلى الاجتماع فى قاعة الوزارة و اعلن ان وقت اعادة طمأنة البلاد قد انتهى. وقال ان العدو "يختفى فى الظلال ويفر، لكن الولايات المتحدة ستستخدم كل مصادرها للعثور على هذا العدو.

وهذا يستلزم نمطا آخر من الحرب مختلفا عما خاضته بلادنا فى السابق". و اضاف أنه واثق من أنه اذا أعدت الإدارة خطة منطقية ومتماسكة، فان بقية دول العالم "ستقف إلى جانبنا". وقال، فى الوقت نفسه، انه عازم على عدم السماح لخطر الارهاب بتغيير اسلوب حياة الامريكيين، مضيفا "ان علينا ان نهيئ الشعب دون أنه نثير ذعره".

وبدأ مدير مكتب المباحث الفيدرالى وصف التحقيق الجارى لتشخيص اولئك المسئولين عن اختطاف الطائرات الاربع. وقال روبرت مولر انه من الضرورى عدم افساد اى دليل يجمع. بحيث انه عندما يلقى القبض على المشاركين فى الجريمة. يمكن ادانتهم. غير ان المدعى العام جون اشكروفت قاطعه, وقال دعونا نوقف المناقشة عند هذا الحد.

واضاف ان المهمة الرئيسية لهيئات تنفيذ القانون هى ايقاف هجوم آخر. والقاء القبض على اى مشاركين فى الجريمة او ارهابيين قبل ان يوجهوا لنا ضربة ثانية. واذا لم نتمكن من جلبهم إلى المحكمة. فليكن ذلك. وكان الرئيس قد اوضح لاشكروفت فى محادثة سابقة انه يريد التوثق من أن هجوما كالذى حدث على البنتاجون ومركز التجارة العالمى لن يحدث ثانية ابدا. وكان اشكروفت يقول ان تركيز مكتب المباحث الفيدرالى ووزارة العدل يجب ان يتغير, الآن, من المقاضاة إلى المنع, وهو تحول اساسى فى الأولويات. وقال اشكروفت فى مقابلة معه ان بوش "اوضح لى تماما ان علينا مسئولية القيام بكل ما اوتينا من قوة, وان نجد سبلا للقيام بما يجب, بحيث لا نفكر بان هناك وسيلة لم نستخدمها. لتقليص الاحتمالات, وتقليل المخاطر, ومنع حدوث شىء مماثل مرة اخرى".

واضاف "وصيتى كانت على النحو التالى: يجب علينا أن نفكر خارج المأزق.. لا نستطيع ان نفكر خارج الدستور, ولكن خارج المأزق.. واذا كان هناك خلاف بين حماية مصدر وحماية الشعب الامريكى, فإننا نحرق المصدر ونحمى الشعب الامريكى. وهذه هى الطريقة التى يجب ان تسير عليها الأمور".

وبعد أن أنهى بوش اجتماعه مع مجلس الأمن القومى, واصل الاجتماع مع مجموعة اصغر من كبار مسئولى الإدارة, الستة الرئيسيين بمن فيهم نائب الرئيس ووزيرا الخارجية والدفاع. الذين شكلوا وزارة الحرب, دون معظم نوابهم ومساعديهم. وقال وزير الخارجية كولن باول إن وزارة الخارجية مستعدة لنقل رسالة الرئيس إما أن تكونوا معنا. او ضدنا إلى باكستان وطالبان. وكان رد بوش انه يريد قائمة بالمطالب التى تقدم إلى طالبان.

وأبلغ باول أن "تسليم بن لادن ليس كافيا". كان يريد تسليم منظمة القاعدة بأسرها أو طردها.

تدخل رامسفيلد قائلا "إن الكيفية التى نحدد بها الأهداف فى البداية مسألة حاسمة. لان هذا ما يتفق التحالف من أجله". ان الدول الاخرى تريد تحديدات دقيقة.. "هل نركز على بن لادن والقاعدة. ام الارهاب على نطاق اوسع؟". هكذا تساءل رامسفيلد بلهجة خطابية.

قال باول ان "الهدف هو الارهاب بمعناه الاوسع. نركز اولا على المنظمة التى قامت بهجمات ١١ سبتمبر".

وقال تشينى "إلى هذا الحد نحن نحدد مهمتنا على نطاق واسع. لتشمل اولئك الذين يدعمون الارهاب. ثم نصل إلى الدول. إن ايجادهم أسهل من ايجاد بن لادن".

وقال بوش لنبدأ بـ «بن لادن» وهو ما يتوقعه الامريكيون. و اذا ما نجحنا. فان ذلك يعنى اننا حققنا ضربة هائلة. ويمكننا ان نتقدم إلى الامام". وسمى الخطر "سرطانا". واضاف: "لا نريد ان نعرفه على نطاق واسع بحيث لا يفهمه الانسان العادى".

وألح بوش على رامسفيلد بسؤال حول ما يمكن ان تفعله القوات المسلحة فى الحال.

اجاب الوزير "قليل جدا من الناحية الفعلية". وابلغ بوش مستشاريه بما قاله لتونى بلير رئيس الوزراء البريطانى. من انه يريد. قبل كل شىء. عملا عسكريا يلحق الاذى بالإرهابيين. وليس فقط يجعل الامريكيين يشعرون بحال افضل. وقد فهم الحاجة إلى التخطيط و الاعداد. ولكنه قال ان لصبره حدودا. و اكد "أريد ان نتحرك".

واستخلص باول استنتاجا واضحا من كلمات الرئيس. وكتب على عجل فى ورقته: "التركيز هو على الفوز فى الحرب". وعندما طرح بوش السؤال عن اى عمل عسكرى يمكن اتخاذه فى الحال. ابلغ الجنرال هنرى شيلتون. رئيس هيئة الاركان المشتركة. آخرين. فى وقت لاحق. انه شعر بان الرئيس ربما يكون متجها فى الطريق ذاته الذى سارت فيه ادارة كلينتون: ضربة سريعة لكن دون مواصلة العمل.

وكان شيلتون. الذى تفصله ثلاثة اسابيع فقط عن التقاعد. يعرف أن هناك قضيتين مهمتين فى صياغة رد.

الأولى هى الجغرافيا. فالولايات المتحدة ليس لديها قواعد قريبة من افغانستان. وأن اى ضربة عسكرية واسعة النطاق تستلزم اعادة تزويد الطائرات المشاركة فى العملية بالوقود مرات عدة. والقضية الثانية تتعلق ب"القاعدة"تلك المنظمة التى كان افرادها يعيشون فى الكهوف. ويستخدمون البغال. والسيارات الكبيرة التى تستخدم لأغراض عملية متعددة. كما ان اهدافهم التى يمكن قصفها قليلة. وكانت معسكرات تدريبهم فارغة عموما. وقد تحطم الضربات الجوية عددا قليلا من المبانى او الخيام. ولكنها توجه رسالة مفادها ان الولايات المتحدة تسعى إلى مكافحة الارهاب على نحو رخيص. وشعر شيلتون بالارتياح عندما ادرك سريعا ان بوش لا يسعى إلى رد سهل وجلى. ولا يطلب ان توضع خيارات عسكرية على منضدته فى اليوم التالى.

وقال بوش إنه يعرف ان بعض الجنرالات قد تكون لديهم تحفظات بشأنه. وقال بوش "اعتقد ان الجنرال شيلتون لم يكن واثقا بشأن القائد الاعلى فى هذه المرحلة الزمنية. مضيفا "انه متشكك قليلا حول ما اذا كنا سنخلق توقعات بالنسبة له لا يستطيع ان يراها فى الواقع". واشار بوش إلى انه يعرف ان القوات المسلحة ترفض تكليف القوات بمهمة غير محددة على نحو جيد. ولكنه كان يعتقد، ايضا، انه بحاجة إلى حث البنتاجون على التفكير بطريقة مختلفة حول الكيفية التى تخاض بها هذه الحرب. وقال انه "ما زال يتعين تحديهم لكى يفكروا بكيفية خوض حرب عصابات باستخدام الوسائل التقليدية. لقد جاءوا من عصر توجيه الضربات عن بعد.. استخدام صواريخ كروز لإصابة الاهداف".

وكان شيلتون، على الرغم من قرب رحيله، جزءا من فريق الأمن القومى المعروف بخبرته. فقد كان تشينى وزير دفاع سابقا، ورئيس مكتب موظفى البيت الابيض. وعمل باول مستشارا للامن القومى، ورئيسا لهيئة الاركان المشتركة، وكذلك تشينى. كان أحد مهندسى حرب الخليج خلال عهد إدارة بوش الاب. وكان رامسفيلد رئيس مكتب موظفى

البيت الابيض ووزيرا للدفاع فى عهد إدارة جيرالد فورد قبل ربع قرن. وعمل تينيت مديرا لوكالة المخابرات المركزية تحت رئيسها الثانى. وكانت رايس متخصصة فى الشئون الروسية فى مجلس الامن القومى فى ادارة بوش الاول. وكان اشكروفت مدعيا عاما سابقا, وحاكما, وعضوا فى مجلس الشيوخ. وكان مولر قاضيا سابقا رفيع المستوى.

ولكن على الرغم من وجود كل هذه الخبرة حول الطاولة, فإنه فريق لم يلب التوقعات والآمال على نحو كامل. فتشينى صارع, خصوصا فى وقت مبكر من عهد الادارة. من أجل ألا يظهر وقد ألقى بظلاله على رئيسه. وظل دوره الحقيقى القوة خلف العرش او المستشار الحكيم الموثوق به، فهو ببساطة غامض بالنسبة للغرباء. و أثار رامسفيلد سخط المشرعين فى الكابيتول هيل, والكثير من كبار ضباطه فى الوزارة بأسلوبه الفظ. والمتكتم أحيانا فى الإدارة وكان باول يعانى من الاحساس, عن حق او بدونه, بأنه ابعد إلى هوامش الإدارة الجديدة, وهى وجهة نظر عبر عنها عنوان رئيسى فى عدد مجلة "تايم" الصادر يوم العاشر من سبتمبر: "أين انت, كولن باول؟".

وأصبحت رايس وتينيت من المؤتمنين على أسرار الرئاسة ولكنهما غير معروفين كثيرا من قبل الجمهور.

ونجا أشكروفت, الذى هوجم بسبب وجهات نظره المحافظة, من معركة قاسية فى مجلس الشيوخ, بينما كان مولر قد تولى مسئولية مكتب المباحث الفيدرالية قبل اسبوع من الهجمات.

والمجهول الأكبر بين الجميع هو بوش نفسه. فقد جاء إلى الرئاسة بقليل من الخبرة فى السياسة الخارجية.

وقد أزعجت أفعاله الأولى بشأن تغير المناخ العالمى والدفاع الصاروخى حلفاء الولايات المتحدة فى أوروبا و اصدقاء أمريكا من اصابة الادارة الجديدة بنزعة الأحادية, وموقف الانفراد فى النظر إلى الداخل بدلا من اشراك العالم كما يتوقع من القوة العظمى الوحيدة.

ووصف بوش فى مقابلة معه كيف كان يعتقد ان العالم ينظر إليه فى الأشهر التى سبقت أحداث الحادى عشر من سبتمبر. وقال "أنا منتم إلى تكساس، أليس كذلك؟ وفى أذهان هؤلاء الناس اعتبر الشخص الجديد. انهم لا يعرفون من أكون. لا بد ان الصورة غير قابلة للتصديق". وعبر رحلاته الأولى إلى الخارج، توصل بوش، أيضاً، إلى بعض الاستنتاجات، حول الكيفية التى ينظر بها العالم إلى الولايات المتحدة. وقال "الناس يحترموننا، ولكنهم يريدون أن يمرغوا انوفنا. ان الناس يحترمون أمريكا، وهم يحبون قيمنا. ولكنهم يبحثون عن كل مبرر فى العالم ليقولوا اننا اصبحنا احاديين. لأننا لا نفعل بالضبط ما يريده المجتمع الدولى. وبكلمات أخرى فان لدى إحساسا مشوقا جدا بما يعنيه أن يكون المرء رئيسا لبلد عظيم. هناك إحساس معين بالغيرة كما اقدر، لوصف هذا الموقف بطريقة معينة".

وقال إن المجتمع الدولى لا يعرف، ببساطة، من هو "ولا حتى الشعب، بالمناسبة. يفهم أن يكون لدى المرء قائد أعلى يجرى اختباره تحت النيران.. ما من أحد كان يعرف".

□□□

6

إسقاط صدام حسين

جاءت فرصة بوش لطرح تصوره حول العراق خلال خطابه أمام الأمم المتحدة.. وبعد أن ثار الحديث حول التركيز على القيم الأمريكية أو الشرق الأوسط.. و في النهاية تم الاتفاق على أن يكون العراق هو الموضوع رقم واحد.

غادر بوش إلى مزرعته بكروفورد تكساس، فى أجازة عمل ظهر اليوم التالى للقاء مع باول.

وكان الرئيس بوش بعد انتهاء مقابلتى معه، صباح ٢٠ أغسطس، قد عرض أن يصحبنى فى جولة حول مزرعته.

خرجنا من المنزل وجلس هو وراء عجلة القيادة فى شاحنته البيك آب، و أشار على إلىّ أن فى المقعد الآخر بجانبه. وصعدت مستشارة الأمن القومى كوندوليزا رايس وامرأة اخرى من الأمن القومى فى المقاعد الخلفية الضيقة. ثم جاء كلب الرئيس بارمى ليجلس بيننا نحن الاثنين ويتحول إلى حضن صاحبه بعد قليل.

تحركنا ببطء من الأرض المنبسطة إلى الوادى الصغير، حيث يمكن رؤية تكوينات صخرية مدهشة يبلغ ارتفاعها بين ٦٠ و١٠٠ قدم. وكان الرئيس يتحرك ببطء فى كل منعطف وهو يستمتع بالامتداد الأرضى. كان يعلق على الأشجار والأرض وعلى الغابة الكثيفة وعلى الأودية المنبسطة.

كان يلاحظ الأشجار المائلة التى تحتاج إلى قطع والامتدادات الغابية التى يبدو عليها الأزدهار ويشير إلى الأماكن التى اقتلع منها أشجار الأرز التى تمتص المياه النادرة والضوء من أشجار البلوط وغيرها من الاشجار. كان يبدو أنه يقصد موضعا محددا فى المزرعة عندما دار بالشاحنة فى زاوية متوارية من الأشجار وتوقف هناك. نزلنا بعد ان قطعنا حوالى ميلين داخل أراضيه. قالت رايس إنها لن تنزل لأن حذاءها لم يكن ملائما.

كذلك لم تتبعنا موظفة الأمن. ولذلك اتجهنا وحدنا أنا والرئيس إلى نحو جسر خشبى على بعد ٢٠ ياردة تقريبا.

عندما عبرنا الجسر أطلت فجأة تشكيلة ضخمة من الصخر الجيرى عرضها حوالى ٤٠ ياردة، بيضاء اللون، وشكلها نصف هلال، وجانبها شديد الانحدار. كانت تبدو وكأن قوقعة بحرية هائلة خرجت من الأخدود التكساسى وأخذت فى النمو. وانساب شلال طبيعى صغير من على صفحة التل الجيرى. وبدت الصخرة قديمة قدم المقابر الرومانية. كان النسيم عابقا برائحة لم أستطع تحديد طبيعتها. بدأ بوش يقذف بعض الحجارة على صفحة الصخرة، وشاركته فى ذلك.

فى طريق عودتنا تحدث بوش مرة اخرى عن العراق. قال لى إن نموذجه حول الحرب ضد العراق يمكن استبانته فى الحكاية التى حاول روايتها، أى الشهور الاولى من الحرب ضد أفغانستان والحرب الخفية التى كانت تشنها الـ «سى.آى.إيه» ضد الارهاب على النطاق العالمى.

«أنت تعرف تلك القصة».

وهى فعلا موجودة إذا لملمت أطرافها: ما تعلمه، كيف استقر به المقام فى الكرسى الرئاسى، تركيزه على القضايا الكبرى، ومنهجه فى صناعة القرار، وكيف كان يستفز مجلس حربه ويدفع الناس نحو الفعل.

كنت أجتهد لأعرف معنى كل ذلك. فى البداية كانت ملاحظاته هذه وما قاله من قبل. توحى وكأنه مقدم على حرب ضد العراق. ولكنه كان قد قال فى بداية اللقاء:

«أنا ذلك النوع من الناس الذى يريد أن يزن بدقة أبعاد كل مخاطرة. ولكن الرئيس يحلل دائما ويتخذ قرارات قائمة على المخاطرة، وخاصة فيما يتعلق بالحرب. المخاطرة التى تقدم عليها تقاس بما يمكن أن تحققه».

وما يرغب فى تحقيقه يبدو واضحا: أنه يريد إسقاط صدام حسين.

قبل أن يصعد مرة أخرى إلى شاحنته الصغيرة، اضاف بوش قطعة اخرى إلى اللغز العراقى. قال إنه لم ير حتى الآن خطة ناجحة حول العراق. ويجب عليه ان يكون حذرا

وان يكون صبورا . واضاف: «كل رئيس يرغب فى ذلك النوع من الخطط العسكرية المؤهلة للنجاح».

حدد الرئيس الأمريكى جورج بوش دورا واسعا، بل مبالغا فى اتساعه، للولايات المتحدة فى محاربة الإرهاب والطغيان. وهذا يوحى بنوع من التوتر الداخلى فى ذهنه، وفى أذهان مساعديه، بين الحاجة للتعاون الدولى، وبين الإيمان بأن الولايات المتحدة يمكن ان تتصرف منفردة فى كثير من الأحيان. وفى هذا الصدد قال بوش فى مقابلة مطولة جرت فى مزرعته فى تكساس: «لن نستطيع مطلقا أن نحصل على موافقة كل الناس على استخدام القوة. ولكن الفعل، الفعل الواثق الذى يؤدى إلى النتائج الايجابية، يمكن أن يكون نوعا من القوة الجاذبة التى تمكن الأمم والقادة المترددين من اللحاق بالصفوف وإقناع أنفسهم بأن ما حدث كان خطوة إيجابية نحو السلام».

كانت تلك اوضح صياغة قدمها بوش دفاعا عن العمل المنفرد من قبل الولايات المتحدة، القوة الحاسمة فى عالم إليوم. لقد حدثت هذه المقابلة يوم ٢٠ أغسطس، أى قبل أن يتبنى الرئيس منهجا اكثر ميلا نحو العمل من خلال تحالف دولى ضد العراق، وهو منهج جعله يسعى للحصول على قرار من الأمم المتحدة لتدمير أسلحة الدمار الشامل العراقية، وأن ينجح فى ذلك المسعى أخيرا . وقال بوش إنه لم يكن قد توصل فى ذلك الوقت إلى قرار حول الخطوات التى يجب اتخاذها ضد العراق. وذكر حول هذا الأمر: «عندما نفكر فى قضية العراق، يمكن ان نقرر الهجوم ويمكن ألا نقرر ذلك. ليست لدى فكرة بعد . ولكن الخطوة التى سنتخذها سيكون الهدف منها جعل العالم أكثر أمنا».

فى تلك المقابلة التى استمرت ساعتين ونصف الساعة، فى مزرعته بكروفورد، بتكساس، كان بوش يرتدى الجينز، وقميصاً قصير الأكمام وحذاء رعاة البقر. وقد أجاب على العديد من الأسئلة حول الارهاب، واسلوبه فى الحكم والدروس التى تعلمها من رئاسة والده. وفى المرات العديدة التى تحول الموضوع إلى شخصيته وصف نفسه بأنه «ذو مزاج نارى»، «قلق»، «يعتمد على الجدية» ويحب «استفزاز» الناس الذين حوله، وانه

يكثر من الكلام، ربما اكثر مما يجب، فى الاجتماعات. واعترف ان السيدة الاولى لورا بوش نبهته إلى اهمية التقليل من «عنف الخطاب» حول الإرهاب. وقال ان لديه صورة واضحة جدا حول اولوياته.

وأضاف بوش: أولا يجب ان يكون الرئيس كالكالسيوم للعمود الفقرى. إذا ضعف ضعف الفريق الرئاسى كله. وإذا ساورتنى الشكوك فاؤكد لك أن طبقة شاملة من الشك ستغطى كل شيء».

ولكن رؤيته حول الدور العالمى الممتد الذى يقول ان على الولايات المتحدة أن تلعبه. هى التى تعكس التغيير الذى حدث فى تفكيره منذ هجمات ١١ سبتمبر، التى غيرت العالم وغيرت رئاسته بصورة كاملة، اذ قال بوش: «فى هذه اللحظة من لحظات التاريخ، اذا كانت هناك مشكلة عالمية فان دورنا هو ان نتعامل معها ونحلها. هذا هو ثمن القوة. وهو ثمن المكانة التى تحتلها حالياً الولايات المتحدة. نعم سنتصدى للمشكلة».

المشاكل التى يعتقد بوش ان واجب الولايات المتحدة التصدى لها ليست عسكرية فحسب بل إنسانية كذلك. وقال فى هذا الصدد: «دعنى أحاول التعبير عن ذلك. نعم، بصورة ما، الإنسان الذى يفكر فى تحرير بلد ما، وخوض حرب فى نفس الوقت، هو ذلك النوع من الناس الذين يعرفون أنهم مطالبون برفع المعاناة».

وهذا هو السبب، والقول لبوش، الذى جعله يضغط على الجنرال رتشارد مايرز، رئيس هيئة الاركان المشتركة، لإسقاط المساعدات الإنسانية فى أفغانستان قبل بداية حملة القصف الأمريكى على تلك البلاد.

وأضاف: «كانت حساسيتى مرتفعة إزاء (الاتهام) بأن تلك كانت حربا دينية، وأن الولايات المتحدة ستكون هى القوة القاهرة. وكنت أريد ان ينظر إلينا ليس باعتبارنا قاهرين بل محررين».

وقال بوش إن الهموم ذات الطابع الإنسانى هى الدافع لمواجهة العراق وكوريا الشمالية: «من الواضح ان تغيير النظام العراقى، اذا اقدمنا عليه، ستكون له أبعاد

استراتيجية. ولكن، هناك من ناحيتى شىء وراء ذلك، وهو أن هناك معاناة لا توصف. وفى حالة كوريا الشمالية دعنى أحدثك عن كوريا الشمالية.. اننى أمقت كيم ايل يونج. إن أمعائى تتقلص عندما أذكره لأنه يقتل شعبه جوعا».

وقال بوش ان كيم يطرح خيارا واضحا امام الولايات المتحدة، «يقولون لى اننا يجب الا نتحرك بسرعة خاطفة (ضد كيم) لان الأعباء المالية على الشعب ستكون فادحة اذا حاولنا أن نتحرك، واذا سقط هذا الرجل. من يهتم... اننى لا أؤيد هذه الفكرة. أما أن تكون مؤمنا بالحرية، ومهتما بالأوضاع الانسانية، أو لا تكون. لا أعرف إن كان ذلك يعطيك فكرة عن طريقة تفكيرى أم لا؟».

وتوسع بوش فى طرح هذه الفكرة فقال عن سياسته الخارجية: «هناك نظام للقيم لا يمكن المساومة عليه، وهذه هى القيم التى نحمدها ونتمسك بها. وإذا كانت هذه القيم خيرة بالنسبة لشعبنا فإنها خيرة كذلك بالنسبة للشعوب الأخرى. وهذا لا يعنى اننا نفرضها، بل يعنى انها قيم إلهية. هذه ليست قيما خلقتها الولايات المتحدة. هذه قيم الحرية والطبيعة الإنسانية، وحب الامهات لأطفالهن».

ولكن مجرد ترداد هذه القيم ليس كافيا، «لا يمكنك أن تكتفى بالحديث إلى نفسك إذا كنت ترغب فى حل قضية ما. وتحتل الولايات المتحدة مكانة فريدة حاليا. نحن قادة العالم. والقائد يجب أن يكون قادرا على الاستماع إلى الآخرين، مع مقدرته على الفعل».

وأشار بوش إلى أن اية نجاحات تحققها الولايات المتحدة منفردة سترفع من مقدرتها على بناء التحالفات الدولية، وهو يرفض الاتهامات بأن الولايات المتحدة تميل إلى التصرف منفردة.

ويقول: «اذا كان هناك من يرغب فى أن يقول أشياء لئيمة عنا: بوش انفرادى، أمريكا انفرادية... إلخ، فإن هذا يسلينى».

مع أن بوش يقول إن الرئيس يتعامل مع قضايا متعددة ومتباينة ويتخذ قرارات ذات طابع تكتيكى، ويخوض معارك على أساس يومى، إلا أنه يرى ان مسئولياته أوسع من ذلك بكثير.

كان والده، جورج هربرت بوش، يسخر من فكرة «الرؤية» أو «مفهوم الرؤية» بصورة منتظمة تقريبا. ولكن ابنه قال بوضوح إنه لا يتفق مع ذلك: «قضية الرؤية لها أهميتها. هذا درس آخر تعلمته. أعتقد أن مهمتى أن أكون متقدما على اللحظة الحاضرة. واعتقد أن الرئيس يمكن ان تستغرقه، أو حتى تغرقه اللحظة الراهنة، للدرجة التى لا يكون قادرا على أن يكون مفكرا استراتيجيا، كما ينبغى له ان يكون. أو لا يكون قادرا على تفجير التفكير الاستراتيجى لدى مساعديه. وانا ذلك النوع من الناس الذين يريدون ان يتأكدوا أن كل شىء خضع للتقويم».

وقال مساعدوه إن بوش يهتم كثيرا بالتفاصيل والامور التكتيكية فى قيادته للحرب ضد الارهاب. ولكن بوش يرى ان مهمته هى الانتباه الدائم لأية اشارات تدل على التباطؤ أو التفكير المشوش: «أنا أتبع حدسى وغريزتى. اسمعنى، انا من ثمرات عالم فيتنام. هناك خط دقيق جدا بين القيادة التفصيلية للحرب ووضع التكتيكات من جانب، وبين التأكد، نوعا ما، من أن هناك تركيزاً على الهدف وحرصا على التقدم، دون تعجل، من الجانب الآخر».

وقال: إنه بعد أحداث ١١ سبتمبر مباشرة، كان يخشى أن تكون الولايات المتحدة قد فقدت تفوقها على الآخرين. «مهمتى هى التأكد من أن السيف حديد وحاد فى كل الأوقات».

فى يوم الاربعاء ٢٦ سبتمبر، أى بعد اسبوعين فقط من الهجمات الإرهابية، فاجأ بوش مجلس حربه الذى كان يناقش وقتها موعد شن الحرب ضد أفغانستان، عندما تساءل:

«هل فيكم من يتردد إذا قررنا أن نبدأ يوم الاثنين او الثلاثاء المقبلين؟».

- استطاعت مستشارة الأمن القومى، كوندوليزا رايس، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد، أن يقنعاه فى النهاية بأن التخطيط لم يكتمل، وأن القصف لا يمكن أن يبدأ قبل أسبوع آخر. وذكر بوش فيما بعد أنه حاول عن قصد استعجال مساعديه. وقال فى هذا الصدد

«إحدى مهامى أن أكون مستفزا. إننى اتحدث بجدية، أى أستفز الناس لدفعهم لاتخاذ قرارات، والتأكد من ان كل واحد من هؤلاء الاشخاص يعرف تماما إلى أين نتجه. هناك ايقاع ونسق محدد يجب ان تتبعه الامور، ولذلك بدأت اشعر ببعض الإحباط... لم تكن الامور تسير بالسرعة التى كنت أتمناها. وكنت أريد فرض المسألة دون تفريط فى السلامة».

ولكن هل شرح ما كان هو بصدده؟

قال مجيبا عن هذا السؤال: «بالطبع لا، أنا القائد و الزعيم. أنا لا أحتاج إلى الشروح. ليس من واجبى ان اشرح لماذا قلت ما قلته. هذا هو الجانب المثير فى أن تكون رئيسا. من الممكن ان يشرح لى شخص ما لماذا قال ما قال، ولكننى لا أشعر بأننى مدين لأى شخص بشرح ما أقول».

فى لحظة متأخرة فى المقابلة شرح كيف يرى دوره من ناحية أخرى: «أعتقد أننى حاولت أن أسبق الآخرين بخطوة واحدة. يجب على الرئيس ان يفعل ذلك. والمهمة الأخرى هى ان اوجه الاسئلة، الاسئلة التى ربما يراها بعضهم غير اهل للإثارة، وانا أطرحها مع ذلك. لا أخشى طرح مثل هذه الاسئلة. هذه من الاشياء التى أفعلها الآن بارتياح شديد. ليس هناك سؤال يوصف بالغباء سواء جاء منى أو من أى شخص آخر أو من فريقنا».

ونسبة لأن بوش واثق بنفسه تماما، فانه يريد أن يكون كل مساعديه واثقين بأنفسهم بنفس القدر، وواثقين بصحة الأهداف التى يسعون إلى تحقيقها «لا أريد ان يكون حولى أشخاص لا يتسمون بالثبات والاستقرار».

وقال بوش إنه لا يتوقع أن يحمل كل فرد فى مجلس حربه نفس الآراء التى يحملها هو:

«أصبحت أرتاح إليهم كبشر، وكأفراد قادرين على الاضطلاع بمسئولياتهم. ولذلك عندما يقدمون نصائحهم، فاننى أثق بأحكامهم. ولكن النصائح لا تكون دائما من نفس

النوع، وهنا أجد من الضرورى أن أجتهد فى إيجاد حل لهذه القضية، وأن أستعرض كل السيناريوهات، وان اصل إلى نوع من التراضى بين ستة او سبعة من الناس الأذكياء، ما أمكن ذلك. ان ذلك يسهل مهمتى. فى بعض الاحيان اذهب إلى تلك الاجتماعات واتحدث فيها كثيرا، اكثر مما ينبغى، واكون هنا كمن يحدث نفسه. ومن المهم خلق جو يشعر فيه الناس بالراحة وهم يعبرون عن آرائهم».

وقالت رايس التى حضرت المقابلة، إنه بعد أن يذهب بوش: «فإننا نتعارك قليلا».

وعلق بوش: «وهذا حسن جدا، بالمناسبة. واذا كان لدى الجميع نفس الآراء ونفس التحيزات ونفس البنية العقلية، فإنها ستكون ادارة باعثة على الملل. ولن أجد عندها أفضل النصائح».

وقال ان وسائل الإعلام تؤثر دائما على الناس:«أنا لا أقرأ افتتاحيات الصحف، لا أفعل ذلك. الحركة الهائلة التى تحدث عبر التليفزيونات، وما يسطره كل خبير وكل كولونيل سابق، كل هذا الصخب، ليس سوى ضجيج فى خلفية الاشياء».

ولكنه قال كذلك إنه يعرف أن كل الناس لا يمكن أن يتجاهلوا وسائل الإعلام «لدينا هؤلاء الناس الاقوياء جدا فى مجلس الامن القومى والذين يتأثرون بما يقال عنهم فى وسائل الاعلام».

وذكر بوش ان واحدا من الدروس التى تعلمها من رئاسة أبيه هى كيفية تنظيمه للبيت الأبيض.

وقال: إنه وضع نظاما يجعل خمسة من مساعديه، هم رايس، ومديرة الاتصالات السابقة كارين هيوز، وكبير المستشارين السياسيين كارل روفا، ورئيس الموظفين اندرو كارد، والسكرتير الصحافى آرى فلايشر، يقابلونه دون أى ترتيب مسبق «يجب ألا تمر كل السلطات من خلال شخص واحد فى المكتب البيضاوى».

تعلم ذلك من من ملاحظات كونها خلال رئاسة ابيه وخاصة خلال السنوات الثلاث التى كان فيها جون سنونو رئيسا للموظفين وكان يضبط الوصول إلى الرئيس بيد من حديد، بحيث لا يستطيع الوصول إليه كل من يحمل أخبارا سيئة.

وقال بوش ان الوصول إلى الرئيس يجب الا يكون محصورا فى المسئولين الكبار. وذلك «لأن إحدى مزايا الوظيفة بالبيت الأبيض امكانية الحديث المباشر للرئيس».

كان خبير الاستراتيجية لدى والده، لى أتواتر، قد قال له: «التواصل هو القوة». وقال إنه تعلم ذلك كدرس مباشر عام ١٩٨٨ عندما ترشح والده للرئاسة، «أذكر اننى كنت اذهب إلى منزل نائب الرئيس، فى وقت تكون الاستعدادات جارية لاجتماع اعضاء الحملة الانتخابية. وكنت اصل قبل عشرين دقيقة قبلهم حتى يرونى مع والدى. لم تكن لديهم اية فكرة. ربما كنا نتحدث عن بطولة البيسبول، أو عن أخ أو أخت. ولم يكونوا يعرفون ذلك. كانوا يعرفون فقط اننى استطيع الوصول إليه فى أى وقت. واننا نتحادث على انفراد أنا وهو. وكان ذلك درسا قيما جدا. وشاهدت قامتى تتطاول كلما كثرت اتصالاتى به».

فى نهاية المقابلة انضمت زوجة بوش إليه. كان قد قال لتوه إنها قالت له فى يوم من الأيام عندما كان يتحدث عن الارهابيين: «عليك أن تتنبه حتى لا يكون خطابك بهذا العنف وأنت تتحدث عن قتلهم». وكانت تخشى من ترسيخ صورة الفتى الفظ من غرب تكساس.

قالت لورا بوش: «لم ترق لى عبارة العثور عليهم أحياء أو أمواتاً».

سألها الرئيس: «ولماذا؟».

أجابت: «فقط لم ترق لى».

وأصر الرئيس على السؤال: «لماذا؟».

- «العبارة لم ترق لى مطلقا. وقلت عندها: خفف نبرتك أيها العزيز».

واعترف بوش بأنه لم يخفف من نبرته. وقالت لورا بوش:

«ولذلك اضطررت لتكرارها المرة تلو الأخرى».

لقد كان موضوع العراق ملتهبا فى كل وسائل الاعلام ومتابعا من قبل الرأى العام. لم تكن هناك أخبار اخرى، ولذلك ساعدت التكهنات حول العراق على ملء الفراغ. وامتشق

كل مستشار سابق للامن القومى وكل وزير خارجية سابق قلمه وطرح آراءه حول الموضوع لكل من يسمع ولكل من يقرأ ولكل من يرى. وفى يوم الأربعاء الموافق ١٤ اغسطس (آب)، اجتمع كبار المسئولين بالإدارة: تشينى ورامسفيلد وباول ورايس ومدير وكالة الاستخبارات المركزية «سى. آى. إيه»، جورج تينيت، بواشنطن دون حضور الرئيس. وقال باول إن من المهم ان يفكروا فى تكوين تحالف ضد العراق، أو على الأقل فى نوع من الغطاء الدولى. وقال إن البريطانيين معنا، ولكن تأييدهم سيكون ضعيفا فى غياب تحالف دولى او غطاء دولى. انهم يحتاجون إلى شىء ما. وقال ان اغلب الاوروبيين يفكرون بنفس الطريقة. وكذلك دول الخليج وخاصة اصدقاء الولايات المتحدة فى منطقة الخليج الذين يعتبر دعمهم أمراً مهماً بالنسبة للحرب. وكذلك تركيا التى تبلغ حدودها مع العراق ١٠٠ ميل.

جاءت أول فرصة للرئيس بعد عطلته لطرح موضوع العراق بشكل رسمى عبر الخطاب الذى كان من المفترض أن يلقيه فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٢ سبتمبر حسبما أكد كولن باول. ودار كلام حول ما إذا كان يتعين أن يدور الخطاب حول القيم الأمريكية أو حول الشرق الأوسط. لكن العراق كان الموضوع رقم واحد.

وقال باول: «لم يكن ممكنا بالنسبة لى تصوره هناك (اى الرئيس) بدون أن يتحدث عن هذا الموضوع».

ووافقت رايس على هذا الرأى. ففى مناخ خلقه الإعلام من خلال مناقشة الملف العراقى، سيعطى عدم الحديث عن العراق فى خطاب الرئيس المُجَدول للجمعية العامة للأمم المتحدة انطباعا بأن الإدارة الأمريكية غير جادة فى موضوع التهديد الذى يشكله صدام حسين، أو أنها تعمل على هذا الموضوع بسرية كاملة. وكان بوش راغبا أن يشرح للمجتمع الدولى الخطوط العريضة للهدف الذى تتحرك سياسته نحوه.

وناقشوا كيف أنهم سيواجهون عملية لا متناهية من النقاشات والمساومات والتأخيرات حالما يبدأون السير فى طريق الأمم المتحدة، وهذا يعنى كلاما دون فعل. قال تشينى: «أظن أنه من اللازم أن يكون الخطاب فى الأمم المتحدة حول العراق». لكن الأمم المتحدة فى هذه الحال يجب أن تكون هى الموضوع. إذ يجب تحديها ونقدها.

وأضــاف تشـينى: «اذهب وقل لهم إنه أمـر لا يتـعلق بنا. إنه يتـعلق بكم. أنتم لسـتم مهمـين». فالأمم المتحدة لم تفرض على صدام حسين لأكثر من عقد أيا من قراراتها الهادفة إلى تدمير أسلحة الدمار الشامل وإلى فرض وجود مفتشى الأسلحة داخل العراق. والأمم المتحدة تعرض نفسها نتيجة لذلك إلى أن تفقد أى أهمية لوجودها وستكون الخاسرة إذا لم تقم بما هو ضرورى. أيدت رايس هذا الرأى. فالأمم المتحدة أصبحت مثل «عصبة الأمم» بعد الحرب العالمية الأولى إذ لم تكن سوى جمعية للنقاش دون أى سلطة. لذلك وافق الجميع على ضرورة أن يذهب الرئيس إلى الأمم المتحدة لإعلان الحرب. وهذا الموقف تم الوصول إليه بسرعة فى ذلك اللقاء. كان الجميع متفقين على أن يكون خطاب بوش فى الأمم المتحدة حول العراق، لكن لم يتم التوصل إلى موافقة حول ما يجب أن يقوله الرئيس.

بعد مضى يومين، اجتمع أعضاء مجلس الأمن القومى يوم الجمعة الموافق ١٦ أغسطس، وشارك الرئيس فى الاجتماع عبر الفيديو من مزرعته فى كروفورد. وكان الهدف الوحيد من الاجتماع بالنسبة لباول هو فرض موقفه الهادف إلى التوجه نحو الأمم المتحدة سعيا للحصول على الدعم أو تحقيق ائتلاف ما، فالحرب الانفرادية ستكون جد صعبة، وهى أقرب إلى المستحيل، حسبما قال باول. على الأقل عليهم أن يسعوا لإيصال وجهة نظرهم للآخرين والطلب من البلدان الأخرى مشاركتهم فى الحرب. وقام الرئيس من جانبه بطلب ملاحظات من كل الحاضرين، وكان هناك دعم شامل لفكرة إعطاء الأمم المتحدة فرصة أخرى، حتى من تشينى ورامسفيلد.

قال بوش أخيرا: «حسنا»؛ معبرا عن تأييده لأسلوب خطاب الأمم المتحدة حول العراق. وحذرهم من أن الخطاب لن يكون صاخبا جدا أو أن يضع شروطا جد قاسية بحيث يجعل الإدارة الأمريكية تبدو كأنها غير جادة فى نظر الآخرين. فما يريده هو إعطاء الأمم المتحدة فرصة أخرى. آنذاك خرج باول وهو يشعر أنهم توصلوا إلى اتفاق نهائى وهذا ما جعله يأخذ اجازة ويذهب إلى هامبتونز.

حينما سألت الرئيس بشكل خاص حول مساهمة باول فى صياغة موقفه تجاه العراق فى ٢٠ أغسطس، قدم بوش إجابة دافئة بعد أربعة أيام قال فيها «باول دبلوماسى، وأنت بحاجة إلى دبلوماسى. أنا أنظر إلى نفسى كدبلوماسى جيد، لكن الآخرين لا يرون ذلك. أنت تعرف أننى لا أعتبر نفسى دبلوماسيا متميزا، بينما هو شخص دبلوماسى يمتلك تجربة مع الحرب». سألت الرئيس أيضاً: «هل أراد باول اجتماعا خاصا بك؟» فرد قائلا «إنه لا يرفع سماعة الهاتف ويقول أريد أن آتى لرؤيتك».

وأكد الرئيس أنه عقد اجتماعات خاصة مع باول بحضور رايس. وأضاف «دعنى أفكر بباول. هو كان جيدا جدا مع الرئيس الباكستانى برويز مشرف. فباول لوحده تمكن من إقناع مشرف بالمشاركة معنا فى الحرب ضد الإرهاب. كان جيدا جدا بخصوص ذلك. هو رأى أهمية العمل ضمن ائتلاف فى الحرب ضد أفغانستان.

و قبل توجه بوش إلى الأمم المتحدة بيومين، راجع باول مسودة الخطاب رقم ٢١ التى كان البيت الأبيض قد أرسل نسخة منها إليه مع ملاحظة «للقراءة فقط» و«عاجل». وفى الصفحة الثامنة منه وعد بوش بالعمل مع الأمم المتحدة «لمواجهة التحدى المشترك»، ولم تكن هناك أية دعوة لمطالبة الأمم المتحدة بالقيام بالإجراء.

وفى اجتماع المسئولين الكبار الذى لم يحضره الرئيس بوش قبل توجهه إلى نيويورك بفترة قصيرة، أبدى تشينى معارضته لأن يطلب الرئيس قرارا جديدا. وبرر نائب الرئيس أن ذلك من منطلق الحرص على تكتيكات ومصداقية الرئيس. لنفترض أن الرئيس طلب شيئا ورفضه مجلس الأمن الدولى. وصدام حسين هو مراوغ ماهر. فهو سيقوم بالخداع والانسحاب، وسيجد الطريقة التى تمكنه من تأجيل ما هو مطلوب منه تنفيذه. ما هو ضرورى هو الإطاحة بصدام حسين. فإذا هو هاجم الولايات المتحدة أو أى بلد آخر بأسلحة الدمار الشامل التى فى حوزته ـ خصوصا على نطاق واسع ـ فإن العالم لن يسامحهم أبدا لعدم قيامهم بعمل ما ولاستسلامهم إلى نزوة الدخول فى نقاشات عقيمة لصياغة قرارات الأمم المتحدة.

قال رامسفيلد إنهم بحاجة إلى الاستناد إلى موقف مبدئى، ثم راح يطرح سلسلة من الأسئلة المصاغة بأسلوب طنان، دون أن يتمكن من طرحها بلغة محددة. ومرة أخرى تواجه تشينى وباول متبادلين الحجج بنبرة حادة. كانت المواجهة بين موقف باول المناصر لتحقيق ائتلاف دولى مقابل موقف تشينى المناصر للموقف الانفرادى. قال باول لنائبه أرميتاج لاحقا: «لا أعرف إن كنا حققنا ذلك أم لم نحققه».

فى الليلة التى سبقت إلقاءه للخطاب، تحدث بوش مع باول ورايس. أخبرهما بأنه قرر أن يطلب من الأمم المتحدة إصدار قرار جديد. فى البدء، قال إنه سيخول باول ورايس كى يصرحا بعد انتهائه من الخطاب بأن الولايات المتحدة ستعمل مع الأمم المتحدة على صياغة هذا القرار، لكنه استدرك قائلا إن من الأفضل أن يصرح بذلك فى خطابه أيضا. فهو يحب أن تأتى العناوين الرئيسية فى النهج السياسى منه مباشرة. لذلك أمر بإقحام جملة فى خطابه فى أعلى الصفحة الثامنة، تقول إنه سيعمل مع مجلس الأمن الدولى للوصول إلى «قرارات» ضرورية. ثم أضيفت هذه الجملة إلى المسودة الأخيرة رقم ٢٤. وأبلغ باول أرميتاج كتابيا «إنه سيحصل على ما يريده هناك».

وعلى منبر الجمعية العامة للأمم المتحدة وعند وصول بوش إلى النقطة التى كان عليه أن يذكر الجملة المضافة إلى خطابه التى تقول إنه سيسعى لاستصدار قرار جديد لم تكن هذه الجملة قد أضيفت إلى الشاشة التى كان الرئيس يقرأ منها. وبدلا منها قرأ بوش السطر القديم: «إن بلادى ستعمل مع مجلس الأمن الدولى لمواجهة التحدى المشترك».

آنذاك كان باول يقرأ فى المسودة رقم ٢٤، مشيرا إلى كل جملة كان الرئيس يقرؤها. وكاد قلبه يتوقف حينما لم يسمع الجملة المخصصة للقرارات الجديدة. لكن عند قراءة بوش الجملة القديمة أدرك أن الجزء الخاص بالقرار الدولى مفقود وهذا ما جعله مع قليل من الصعوبة يردد ذلك دون العودة إلى النص المكتوب «نحن سنعمل مع مجلس الأمن الدولى للوصول إلى القرارات الدولية». آنذاك تنفس باول الصعداء.

كان خطاب الرئيس بشكل عام إنجازا كبيرا، إذ تلقى ثناء واسعا على أسلوبه الحازم واستعداده لطلب الدعم الدولى بخصوص سياسته تجاه العراق، وتحديه الفعال للأمم المتحدة كى تفرض تنفيذ قراراتها. وكان دفعا قويا لباول، الذى ظل فى نيويورك لكسب التأييد لهذه السياسة، خصوصا روسيا وفرنسا اللتين هما من البلدان دائمة العضوية وبإمكان أى منهما استخدام حق الفيتو ضد أى قرار جديد يصدر. فى اليوم اللاحق أعلن العراق عن استعداده لقبول عودة مفتشى الأسلحة. ولم يصدق بهذه الموافقة إلا القليل. وهذا ما دفع تشينى إلى المحاجاة مرة أخرى بأن الولايات المتحدة والأمم المتحدة قد كانتا موضعا للخداع.

يؤمن بوش أن استراتيجية العمل الوقائى قد تكون البديل المناسب إذا كان هو جادا فى عدم الانتظار حتى وقوع الأحداث أمامه. فحقائق بدايات القرن العشرين هى نوعان: إمكانية وقوع هجوم مفاجئ وكبير شبيه بهجوم ١١ سبتمبر، وانتشار أسلحة الدمار الشامل من كيماوية وبيولوجية ونووية. وفى حالة ارتباط هذين العنصرين معاً، أى الدولة المارقة مع الإرهابيين تكون مهاجمة الولايات المتحدة ممكنة، وقد يؤدى أى هجوم من هذا النوع إلى قتل عشرات أو مئات الآلاف من الناس. إضافة إلى ذلك، وجد الرئيس ومساعدوه أن حماية الأراضى الأمريكية من أى عمل إرهابى غير ممكن تحقيقها بشكل كامل. حتى مع تشديد الرقابة الأمنية والإجراءات المضادة للإرهابيين على مستوى قومى، إذ أن كل ذلك يجعل البلد أكثر أمنا.

وكانت الولايات المتحدة قد امتصت ضربة بيرل هاربور لتدخل فى الحرب العالمية الثانية وتحقق انتصارها فيها.

وحالياً تمكن البلد من امتصاص هجمات ١١ سبتمبر وحقق انتصارا فى أول حرب له ضد الإرهاب بأفغانستان. لكن ما الذى سيحدث إذا وقع هجوم نووى وقتل جراءه مئات الآلاف من الناس؟ سيتحول فى هذه الحال أى بلد حر إلى دولة بوليسية. كيف سينظر المواطنون أو التاريخ لرئيس تصرف بأقصى طريقة حادة؟ متى كان الدفاع يتطلب هجوماً فعالا؟

تشعر كوندوليزا رايس مستشارة الرئيس الأمريكى للأمن القومى أن الإدارة الأمريكية لديها القليل من الخيارات فى التعامل مع صدام حسين. وقالت مؤكدة: «هو درس هجمات ١١ سبتمبر وواجه التهديدات مبكرا».

لكن الرئيس تحرك كأنه راغب فى منح الأمم المتحدة فرصة أخرى، وضمن هذا السياق انخفضت حدة لغته الخطابية، فهو بدلا من أن يتكلم عن تغيير النظام راح يتكلم عن تغيير سياسته سعيا لتشجيع العراق على التخلى عن أسلحة الدمار الشامل. وقال بوش للصحافيين يوم ١ أكتوبر: «الخيار العسكرى ليس هو أول خيار، لكن نزع سلاح هذا الرجل هو الخيار الأول».

وفى خطاب وجهه إلى الامريكيين فى ٧ أكتوبر الماضى، بمناسبة مرور عام على بدء الهجوم الجوى على أفغانستان قال الرئيس بوش إن صدام حسين يشكل تهديدا مباشرا للولايات المتحدة. ومع النقاش الذى جرى داخل الكونجرس حول تفويض الإدارة الأمريكية بخوض الحرب ضد العراق، قال بوش: «أتمنى ألا يتطلب هذا عملا عسكريا». كل ذلك هو انتصار لباول، ولعله يكون انتصارا مؤقتا. وتخفيض الأسلوب الحاد فى خطابات بوش تعنى أنه يستطيع أن يقول «لا» لتشينى ورامسفيلد، لكن ذلك لا يعنى نقصا فى مدى عزم الإدارة الأمريكية الشديد. لذلك سيستمر الصراع للوصول إلى قلب وعقل الرئيس بين اللاعبين الكبار داخل إدارة بوش.

وفى ٨ نوفمبر وافق مجلس الأمن بالإجماع على قرار جديد يأمر العراق فيه بقبول مفتشى الأسلحة. وأثنى الرئيس بوش فى بيان قرأه فى «حديقة الزهور» بالبيت الأبيض على باول «لقيادته ولعمله الجيد ولتصميمه القوى خلال الشهرين الأخيرين».

أثناء قضاء إجازته فى جزيرة «لونج آيلاند» فتح باول صحيفة «نيويورك تايمز» يوم ٢٧ أغسطس، فدُهش لما قرأه كعنوان الموضوع الرئيسى فيها: «تشينى يقول: الخوف من عراق نووى يبرر الهجوم». وكان نائب الرئيس قد ألقى خطابا فى اليوم السابق أعلن فيه أن عمليات التفتيش عن الأسلحة هى عديمة الجدوى. وفى ذلك الخطاب قال تشينى:

«عودة المفتشين لا تقدم أية ضمانة بأن صدام حسين سيلتزم بقرارات الأمم المتحدة، بل بالعكس، هناك خطر كبير من أن عودتهم ستمنح انطباعا مريحا وخاطئا بأنه رجع إلى صندوقه». وأضاف تشينى أنه «على يد ديكتاتور دموى» ستكون أسلحة الدمار الشامل «أكبر تهديد يمكننا تصوره. ومخاطر عدم القيام بأى شىء أكبر بكثير من مخاطر اتخاذ إجراء تجاهها». وفُسر خطاب تشينى بشكل واسع على أنه تمثيل لسياسة الإدارة الأمريكية.

وكانت النبرة حادة وخالية من أية مرونة. والخطاب أشار إلى إجراء مشاورات مع الحلفاء لكنه خال من دعوة البلدان الأخرى للاشتراك فى ائتلاف ما.

بالنسبة لباول، كان ذلك الخطاب أشبه بالهجمة الاستباقية على ما كان يظن بأنه سياسة تم الاتفاق عليها قبل ١٠ أيام فقط. وهذه السياسة تتحدد بإعطاء الأمم المتحدة فرصة أخرى. إضافة إلى ذلك فإن انتقاد عمليات التفتيش عن الأسلحة بدا لباول متناقضا مع تأكيدات بوش التى ظل يكررها لمدة عام وبشكل متواصل من أن الخطوة اللاحقة يجب أن تكون إعادة مفتشى الأسلحة إلى العراق. وهذا الهدف هو ما كانت الولايات المتحدة والأمم المتحدة تتصارعان مع صدام حسين من أجل تحقيقه منذ عام ١٩٩٨ بعد طرده للمفتشين من العراق.

بعد انقضاء يوم على خطاب تشينى التقى رامسفيلد بثلاثة آلاف شخص من قوات مشاة البحرية «المارينز» فى معسكر بندلتون بكاليفورنيا، وهناك قال: «لا أعرف كم دولة ستشارك فى حال اتخذ الرئيس قرارا بأن مخاطر عدم القيام بأى شىء هى أكبر من القيام بعمل ضده». كان باول بإمكانه أن يفك تشفرة الخطابين بهذا الشكل: قام تشينى بالتأكيد على أن المخاطر تكمن فى عدم القيام بعمل عسكرى، أما رامسفيلد فقال إنه لا يعرف كم دولة ستشارك فى حال موافقة الرئيس على ما قاله تشينى. وقال رامسفيلد أيضا إن القيام بالشىء الصحيح «منذ البدء قد يكون انفراديا»، وهذه صيغة جديدة لدعوة خوض الحرب بشكل انفرادى.

ومما زاد الطين بلة ان تليفزيون «بى بى سى» البريطانى بدأ بنشر مقتطفات من مقابلة أجريت سابقا مع باول قال فيها إنه سيكون «مفيدا» لو أن عمليات تفتيش الأسلحة بدأت مرة أخرى. وقال باول فى تلك المقابلة «كان الرئيس وما يزال واضحا فى قناعته بضرورة عودة مفتشى الأسلحة إلى العراق. فالعراق ظل يخرق الكثير من قرارات الأمم المتحدة لما يقرب من ١١ عاما. لذلك، وكخطوة أولى، لنر أولا ما سيجده المفتشون. لذلك لنعيدهم إلى العراق».

وترددت تقارير بأن باول يناقض تشينى، أو يبدو هكذا. فجأة، أدرك باول أن الانطباع الشعبى حول سياسة الإدارة الأمريكية تجاه عودة المفتشين إلى العراق هو عكس ما كان يظنه. بل راح بعض كتاب الافتتاحيات يتهمون باول بعدم الولاء. وعدّ باول آنذاك سبع افتتاحيات صحافية تطلب استقالته أو تطرح بشكل ضمنى طلبا بانسحابه من الحكومة. من وجهة نظره بدأت الأمور بالتدهور، إذ كيف يكون هو غير مخلص بينما لم يعبّر سوى عن موقف الرئيس المعلن. عندما عاد باول من إجازته، طلب لقاء شخصيا آخر مع الرئيس. وشاركت رايس فى هذا اللقاء الذى جرى على وجبة غداء فى عيد العمال فى ٢ سبتمبر.

أثناء مراجعة باول لأحداث أغسطس، طرح على بوش السؤال: أليست مسألة عودة مفتشى الأسلحة إلى العراق هى موقف الرئيس؟ أجاب بوش بالإيجاب، على الرغم من أنه يشكك بإمكانية نجاح مهمتهم. وفى ذلك اللقاء أكد بوش مرة أخرى التزامه بالذهاب إلى الأمم المتحدة لطلب الدعم تجاه العراق. بصيغة عملية هذا يعنى أنه سيسعى لطلب صدور قرار جديد.

آنذاك شعر باول بالرضا وهو يتهيأ للسفر إلى جنوب أفريقيا لحضور مؤتمر دولى. وليلة الجمعة المصادفة ٦ سبتمبر كان باول قد رجع من جنوب أفريقيا وحضر فى تلك الليلة اجتماعا شارك فيه أعضاء مجلس الحرب فى كامب ديفيد دون مشاركة الرئيس فيه. حاجج تشينى فى ذلك الاجتماع بأن طلب صدور قرار دولى جديد سيعيدهم إلى آلية إجراءات الأمم المتحدة اللامتناهية وغير المجدية وأن كل ما يحتاج الرئيس إلى قوله هو

إن صدام سيئ وإنه خرق متعمدا كل قرارات الأمم المتحدة فى السابق، وإن الولايات المتحدة تحتفظ بحقها باللجوء إلى الحرب لوحدها. لكن باول رد بأن ذلك لا يتطلب طلب المساعدة من الأمم المتحدة. فالأمم المتحدة لن تتحرك فورا معلنة أن صدام شرير، ثم تخول الولايات المتحدة بضرب العراق عسكريا. الأمم المتحدة لن تقبل بذلك، حسبما قال باول. فالرئيس قد قرر أن يعطى الأمم المتحدة فرصة، والطريق الوحيد لتحقيق ذلك هو بطلب صدور قرار جديد.

كان تشينى مصرا جدا على شن حرب ضد صدام حسين. وكأنه ليس هناك أى موضوع آخر يشغله عنها. سعى باول آنذاك إلى تلخيص العواقب التى يمكن أن تنجم عن أى عمل عسكرى انفرادى. فعليه أن يغلق السفارات الأمريكية فى أنحاء العالم إذا قررت الولايات المتحدة خوض الحرب لوحدها. قال تشينى إن ذلك ليس هو جوهر المشكلة.

جوهر المشكلة هو صدام حسين والتهديد الصارخ المتأتى عنه. ولعل تشينى لم يتوقع أن يجيبه باول بأن بإمكان الحرب أن تطلق كل أنواع العواقب غير المتوقعة وغير المقصودة. لكن نائب الرئيس رد ثانية، ذلك ليس هو جوهر المشكلة. تحول الحوار إلى نقاش حاد، بين تشينى وباول حيث أصبح قائما على حافة القواعد الأدبية لكنه لم يتجاوز دائرة الاحترام المتبادل الذى يحمله كل منهما للآخر.

فى صباح اليوم التالى لاجتماع الوزراء الكبار فى كامب ديفيد نُظم لقاء آخر لمجلس الأمن القومى شارك فيه الرئيس بوش. وجرت فى هذا الاجتماع إعادة لسلسلة النقاشات التى جرت بين تشينى وباول فى اليوم السابق.

كذلك بدا بوش على استعداد كى يطلب من الأمم المتحدة إصدار قرار جديد. لكن خلال عملية صياغة خطابه، استمر تشينى ورامسفيلد بالضغط. إذ ظلا يحاججان بأن طلب إصدار قرار جديد من الأمم المتحدة سيدخلهم فى متاهات النقاش والتردد، وهذا سيفتح الباب لصدام حسين للتفاوض مع الأمم المتحدة وهو سيكرر موافقته على القرار الجديد لفظيا لكنه مثلما فعل سابقا سيخيب لاحقا ظن الجميع. لذلك جاء طلب صدور

قـرار آخـر مـضـمَّنا فى خطاب الـرئيس. واسـتـمـرت اللقـاءات لصـيـاغـة الخطاب بشكله النهائى لعدة أيام.

وضُـمِّن الخطاب انـتـقـادا للأمم المتحـدة على عـدم فـرضـهـا لعـمليـات التـفـتـيش عن الأسلحـة على العـراق خصـوصـا منذ أن طرد صـدام حسـين مفـتشى الأسلحـة قـبل أربعـة أعوام. حـاجج باول آنذاك: «لا يمكنكم أن تقولوا ذلك، دون أن تطلبوا منهـا أن تقوم بشىء ما. لكن ليس هـنـاك أى طلب كى تقوم الأمم المتحـدة بإجراء مـا». وأضـاف باول: «الخطاب يقـول، هذا هو مـا قـام به (صـدام حسـين) من أعـمـال خـاطئـة، وهـذا مـا يجب أن يقـوم به لتصـحيح مساره. لكن الخطاب يقف هـنـا دون أن توضـحوا ما تريدونه من الأمم المتحـدة». وكـان هنـاك خـلاف حـاد بين المسئولين الكبـار لتحـديد مـا يجب طلبـه من الأمم المتحـدة. وأخيرا وافقوا على أن يطلب بوش من الأمم المتحدة أن تبادر إلى القيام بعمل ما.

وافق باول على ذلك، لأن الطريق الوحيد الذى تتمكن الأمم المتحدة من القيام بإجراء مـا هو من خـلال القـرارات. لذلك فـإن الإجـراء سـيـتـضـمـنه القـرار نفسـه. وإذا كـان طلب صـدور قرار جـديد قـد تضـمن القـيـام بعمل مـا، فـإن الدعـوة إلى «اتخـاذ اجراء مـا» كـانت كافية بالنسبة لباول.

□□□



7

النصر أو الكارثة

حرب بوش

Bush at War

بعد فشل أمريكا فى قتل أو اعتقال بن لادن اتجه تفكير بوش إلى اختيار دولة لضربها بدلاً من البحث عن فرد..

ووقع الاختيار فى البداية على إيران ثم سوريا.. وأخيراً تم الاتفاق على العراق كهدف للهجوم الأمريكى..



ظل الهوائى التليفزيونى العملاق منصوباً فوق إحدى روابى «كابول». كان رمزاً لصمود العاصمة الأفغانية بعد أن فشل السوفييت خلال غزوهم للبلاد فى تحطيمه وإزالته، وكم حاولت قوات التحالف الشمالى المعارضة لنظام طالبان أن تتحدى الهوائى العملاق ولكنها فشلت بدورها على الرغم من تكرار المحاولة.

ثم جاءت نفاثة أمريكية، لتحلق فوق المكان وتطلق قذيفة واحدة فتدمر الهوائى، وبعدها انتشرت الأخبار عبر العاصمة الأفغانية: الأمريكيون سوف يكسبون الحرب ضد طالبان.

ولم تكن عمليات القصف الجوى أو المواجهة العسكرية من البر أو البحر هى الأسلوب الوحيد لفوز الأمريكيين، كان للنقود دورها المحورى أيضاً.

وربما كان الأسلوب الأمثل الذى أديرت به حرب الأمريكيين الأفغانية هو الجمع بين العنصرين أو المزج بين اللونين، العين الحمراء، والبنكنوت الأخضر.

كانت العين الحمراء من نصيب البنتاجون بطبيعة الحال. وكانت الدولارات الخضراء هى لعبة المخابرات المركزية وكان الهدف الأساسى للدولارات هو بغير مواربة شراء المنشقين على طالبان، أو بصراحة أكثر تقديم مقابل «دولارى لقاء خيانة صفوف الطالبان».

وكان لعملية البيع والشراء أصولها وقواعدها الخاصة.

كانت المفاوضات تتم بواسطة عناصر التحالف الشمالى وعادة كان عنصر المخابرات المركزية الأمريكية موجوداً، ولكن يختفى خلف الكواليس حين تبدأ عملية التفاوض

(يقصد طبعاً المساومة): عشرة آلاف دولار لمساعد القائد وأركان حربه المقاتلين، أما القادة الأعلى مرتبة فكان سعر الواحد منهم ومعه مئات من الجنود هو ٥٠ ألف دولار.

ومن الطريف أن قائداً صنديداً قدموا له مبلغ الخمسين ألف دولار (لشراء ذمته وتحويل ولائه) فما كان من الأفغانى الماهر إلا أن رد قائلاً: «دعونى أفكر فى المسألة»، ساعتها لم تتورع القوات الخاصة المعاونة لفلول المخابرات المركزية عن تسديد قنبلة قصفت بها مدخل المقر الذى يتحصن فيه القائد، المفكر إياه، وفى اليوم التالى اتصلوا بصاحبنا سائلين: هيه، ماذا عن الخمسين ألف دولار، وفى لحظة كان الإيجاب والقبول.

لقد شعر الجميع بالارتياح (أو خيل إليهم ذلك) بعد أن تعاونوا مع الأمم المتحدة فى تنصيب حامد قرضاى، السياسى البشتونى المعتدل والأنيق رئيساً لوزراء كابول، وكان رأس الحربة فى هذا الترتيب هو السياسى الجزائرى المحنك الأخضر الإبراهيمى ممثلاً شخصياً للأمين العام للأمم المتحدة.

بعدها وجد أركان إدارة بوش وقتاً لكى يتجه تفكيرهم إلى منحى جديد يلخصه السؤال المطروح: من هم رعاة الإرهاب وسدنته وممولوه؟ كانت تتردد فى أذهانهم ولا شك العبارة الخطيرة التى سبق وتفوه بها ديك تشينى نائب الرئيس حين قال: إن ملاحقة الدول أيسر كثيراً من ملاحقة الأفراد.

والمعنى أنك تستطيع أن تضرب دولة وأن تتحدى نظاماً سياسياً قائماً على مؤسسات ومنشآت وقلما تستطيع دولة ان تتحدى فرداً، بوسعه أن يهرب أو يختفى أو يتنكر أو يذوب وسط حشود من البشر.

كانت تلك مأساة أمريكا ـ الدولة والقدرة والجبروت ـ إزاء أسامة بن لادن، الفرد المتهم الشخص والإنسان.

ليس صدفة إذن أن يتجه تفكير جورج تينيت رئيس الـ «سى. آى. إيه» إلى ما كانوا يصفونه بأنها الدول راعية الإرهاب، وبدأ التفكير فى إيران.

كان مدير المخابرات المركزية يعتقد أنهم فى نهاية المطاف سوف يعثرون على دلائل تشير إلى دور لإيران فى أحداث ١١ سبتمبر. كان ذلك لأن الحرس الثورى (الإيرانى) يسيطر على شبكة معقدة ومتقدمة وكان لدى الإيرانيين الحافز والإمكانات.

من ناحية أخرى كان تنظيم «القاعدة» لا يتورع عن شراء الخدمات التى يحتاجها كلما وجدها، هكذا (تصور) جورج تينيت أن لديه كل شىء باستثناء القرينة أو البينة التى تدل على الأمر كان ينطوى على رعاية دولة من الدول لعمليات الإرهاب.

إلى جانب إيران اتجهت شكوك واشنطن أيضاً إلى سوريا. واتسعت الشكوك لكى تلتمس دوراً آخر للعراق فى تبنى الإرهاب، تمويلاً ورعاية. ومع اتساع الشكوك، بدأت خطوط السياسات تتشابك وربما تتعقد، خاصة والدول المعنية تقع فى منطقة الشرق الأوسط المصابة أصلاً بمشكلتها المزمنة الشديدة الالتهاب، الناجمة عن الصراع بين فلسطين ـ العرب وإسرائيل.

تزداد المشكلات تعقيداً بسبب نوع مستجد تماماً من الصراعات، هو ذلك الذى اندلع لهيبه حثيثاً، تحت السطح، داخل أجنحة الإدارة الأمريكية الحاكمة ذاتها.

هى «حرب أهلية» كما قد نسميها، اشتعلت حول المواقف والآراء والاتجاهات بين جناح الصقور المتطرف الذى كان يمثله تشينى نائب الرئيس ورامسفيلد وزير الحربية ونائبه الإسرائيلى الهوى ولفويتز، فيما كان يمثل الطرف الآخر وزير الخارجية الجنرال (السابق) كولن باول الذى كانوا يصفونه فى البيت الأبيض بأنه الدبلوماسى ذو التاريخ العسكرى.

مشكلة الوزير باول أنه يقود مؤسسة الدبلوماسية التى تدير دفة العلاقات الدولية للقطب الأوحد فى العالم، ومن ثم يتعين عليه أن يطرح آراء يكبح بها جماح الداعين إلى القوة العسكرية، إلى القصف والقتل والتدمير لإظهار جبروت أمريكا.

مشكلة الجنرال باول أنه جندى فى المحل الأول، يعرف كيف يطيع الأمر ويدرك أهمية التسلسل القيادى الذى يبدأ بداهة من مكتب الرئاسة البيضاوى فى البيت الأبيض حيث

رئيس الجمهورية، الذى هو فى وقت واحد رأس الدولة وهو أيضاً القائد الأعلى لقواتها المسلحة التى ارتقى فى سلكها ابن المهاجر الكاريبى داكن السحنة إلى أن أصبح «جنرال أربعة نجوم» ـ أعلى رتبة فى صفوف جيش الولايات المتحدة.

فى يوم ٢٧ مارس ٢٠٠٢ جاءت أخبار الهجمة الفدائية الفلسطينية التى أودت بحياة ٢٩ إسرائيلياً وأصابت بجروح ١٤٠، وفى أعقابها قرر رئيس الوزراء الإسرائيلى أرييل شارون اجتياح مناطق السلطة الفلسطينية تحت اسم العملية «درع الدفاع».

فى هذه المستجدات ارتفع كورس الأصوات فى الخارج يطالب أمريكا بالتدخل فى هذا الصراع. أراد الرئيس بوش أن يوفد باول إلى المنطقة ولكن الوزير لم يكن متحمساً على أساس أن ليس لديه شىء ذو بال يقدمه، وأن نفوذه لدى أى من الجانبين أقل من محدود.

لكن الرئيس بوش أعلن فى اجتماع مجلس الوزراء: نحن نواجه مشكلة.

ثم اتجه صوب الوزير باول قائلاً: عليك أن تذهب وتنفق جانباً من رصيدك السياسى. وأنا أعلم أن لديك رصيداً وفيراً.

ربما أراد باول أن يتكلم فإذا بالرئيس يبادره: ـ أنا بحاجة إليك.

ـ حاضر، يا أفندم.

استعد كولن باول للذهاب إلى الشرق الأوسط، إلى بؤرة الصراع الدموى فى فلسطين المحتلة، كان مزوداً برصيد من التأييد السياسى من جانب الرئيس بوش شخصياً، كان الرئيس يعد لإلقاء بيان سياسى حول القضية، بموجبه يتعين على ياسر عرفات أن يصدر إدانة قاطعة للإرهاب، فيما يتعين على إرييل شارون أن يشرع فى الانسحاب من أراضى السلطة الفلسطينية.

كولن باول ـ ربما من باب الاحتياط ـ وجه إلى الرئيس بوش السؤال المباشر: هل تدرك (دلالة) ما تقوله للإسرائيليين. معناه أنك تنظر فى حزم ناحية شارون وتقول له: امش من هنا! قال الرئيس الأمريكى أنه يفهم ذلك.

وترجم الرئيس هذا الفهم إلى إجراءات. فى ٤ أبريل ألقى خطابه فى «حديقة الورود» بالبيت الأبيض ودعا فيه الفلسطينيين إلى إنهاء الإرهاب، ثم أضاف يقول: إننى أطلب إلى إسرائيل وقف الاجتياحات داخل المناطق التى يسيطر عليها الفلسطينيون وأن تبدأ انسحابها من المدن التى احتلتها فى الآونة الأخيرة.

بعد يومين جاء رئيس وزراء بريطانيا تونى بلير، والتقيا فى مزرعة الرئيس فى كرافورد ويومها قال بوش: كلمتى اليوم إلى إسرائيل هى كلمتى نفسها التى قلتها منذ يومين مضيا، الانسحاب دون تأخير وذهاب كولن باول إلى الشرق الأوسط.

لكن بوش ما لبث أن تراجع عن موقفه، كان قلبه فيما يبدو مع الإسرائيليين.

واحتار دليل باول وهو فى بؤرة الصراع: كانت الأوامر والتوجيهات تأتيه متضاربة من البيت الأبيض، وكانت الأوامر تعكس مدى الخلط وتشوش الرؤى فى واشنطن، تشينى أرسل إليه ألا يجتمع إلى عرفات، رامسفيلد كان من رأيه أيضاً أن عرفات أصبح كمية مهملة أو ينبغى إهمالها كل هذا فى حين كان باول يرى أن من السخف والحماقة أن يحاول التفاوض من دون أن يجتمع إلى كلا الطرفين، لكن الكل فى واشنطن كان ـ كما يؤكد مؤلفنا ـ قلقا (على صحة وسلامة) إسرائيل، وكان ثمة ضغوط متصاعدة لمؤازرة شارون من جانب الجمهوريين والديمقراطيين على السواء.

كانوا إذن فى واد ملهوف القلب على إسرائيل وكان وزير الخارجية باول فى واد آخر.

يعلق المؤلف فى هذا السياق قائلاً: كان على باول أن يشعر بقلق ازاء ٣٠٠ مليون عربى غاضب، اندلعت مظاهرات فى أماكن لم تشهد مظاهرات من قبل، منها مثلاً البحرين، صحيح أنه ليس أسوأ من عرفات سوى شارون، هكذا تصور باول، بيد أنه ليس بوسعه أن يتجاهل واحداً منهما دون الآخر، وعليه فقد ذهب ليقابل عرفات، مضى الاجتماع الأول على مايرام إلى حد ما، لكن فى الاجتماع الثانى زاد الأمر سوءاً، كان باول عاكفاً على إعداد بيان يدعو إلى عقد مؤتمر دولى وإجراء مفاوضات أمنية لكن ها هى كوندوليزا رايس تتصل لكى يختصر بيانه المرتقب ولا يتعهد بالتزامات أمريكية بشأن أى

مفاوضات مستقبلاً، وكان الشعور السائد فى واشنطن أن وزير خارجيتها قد تجاوز الحدود.

وعندما بلغته التعليمات الجديدة، كاد يجن جنونه، الكل فى واشنطن يريد تبييض صفحته ولا أحد يواجه الحقيقة، كلهم يريدون أن يثبتوا تأييدهم، وموالاتهم لإسرائيل فيما يتركونه وحده ممسكاً بالملف الفلسطينى ـ لقد أوفدوه فى مهمة مستحيلة.

على الهاتف صارحه نائبه أرميتاج بما يقولونه عنه فى مكتب نائب الرئيس وفى البنتاجون وهم يعدون حملة إعلامية تقول إن باول يميل أكثر وأكثر إلى ناحية ياسر عرفات وهم يسربون معلومات إلى الصحافة تفيد بأن البيت الأبيض ينوى «قصقصة» اجنحة كولن باول، أخيراً قال النائب: سيادة الوزير، بصراحة، لقد نصبوا مائدة ليأكلوا لحمك بالجبنة (مصطلح قديم يعرفه العسكريون الأمريكيون يفيد مجالس النميمة والتقول والافتراء).

اتصلت كوندوليزا من واشنطن: كولن، الكل هنا يتصور ان من الأفضل لك ألا تزيد على ما قلته شيئاً، تستطيع أن تقول إنك عائد إلى واشنطن كى تتشاور مع الرئيس.

فى تلك اللحظة انفجر باول على التليفون قائلاً: ماذا يريدون أن أقول إذن. أشكرهم على كرم الضيافة ثم جود باى!! ـ القلق هنا على أساس أن تلزم الرئيس والإدارة بأكثر مما أرادوا جميعاً فى الأساس.

ـ إنهم بالفعل ملتزمون.

وعاد كولن باول إلى أمريكا دون أن ينجز شيئاً.

●●

قضية العراق كانت هى المحك التالى، الحقيقى وربما أكبر المحكات لاختبار قدرات بوش القيادية بل واختبار دور الولايات المتحدة فى العالم.

قضية العراق كانت تتسم بأبعاد شتى، كانت كونوليزا رايس قد سبقت إلى إثارة مسألة العراق مع جورج بوش حين تولت موقع مستشار الشئون الخارجية لحملته

الانتخابية، فى عام ٢٠٠٠ كان من رأى بوش أن أباه الرئيس الأسبق لم يخطىء حين اقتصر على تحقيق هدف تحرير الكويت وقرر ألا تمضى أمريكا إلى بغداد للإطاحة بالرئيس العراقى على أساس أن مطاردة الجيش العراقى، المتراجع، كان سينطوى على حدوث «مجزرة». (يومها) تنبأت وكالة المخابرات المركزية وتنبأ أيضاً زعماء عرب مختلفون أنه سوف يطاح به فى القريب العاجل وأن عقيداً أو جنرالاً فى الجيش العراقى لا يلبث أن يطلق رصاصة على رأس الرئيس العراقى أو يقود انقلاباً ضده.

الذى حدث أن الرئيس العراقى بقى فى موقعه بينما لقى الرئيس بوش الأب هزيمته على يد بيل كلينتون عام ١٩٩٢.

وحين وقعت أحداث سبتمبر ٢٠٠١ كان القرار المبدئى للرئيس بوش الابن يقضى بعدم مهاجمة العراق، ولكن مسألة العراق ظلت تطل برأسها بين حين وحين خلال اجتماعات مجلس وزراء الحرب، يثيرها بحماس كل من تشينى ورامسفيلد، ويصغى إليها فى سلبية وزير الخارجية باول الذى لم يكن يحبذ إشعال نار حرب أخرى.

لكن ها هو الرئيس بوش يلقى بيانه التقليدى عن «حالة الاتحاد» فى ٢٩ يناير الماضى، ويتحدث فيه عما أسماه «محور الشر» الذى يضم ـ كما قال بوش ـ كلاً من كوريا الشمالية وإيران والعراق.

بعدها تسارعت، متلاحقة لاهثة الخطوات المتخذة ضد الرئيس العراقى: وقع الرئيس بوش أمراً رئاسياً بتوسيع عمليات المخابرات الموجهة ضد نظام بغداد.

ـ اعتمد بوش مبلغاً يصل إلى ٢٠٠ مليون دولار للعمليات السرية المنفذة فى هذا الميدان.

ـ زاد من الدعم المقدم لصالح قوى المعارضة العراقية فى الخارج.

ـ بحثت واشنطن الاستعدادات لإمكانية نشر مجموعات شبه عسكرية تابعة لـ «سى. آى. إيه» مدعومة بقوات خاصة على نحو ما شهده مسرح العمليات فى أفغانستان.

لكن، التحذير جاء من تينيت ـ مدير المخابرات شخصياً سيادة الرئيس، العراق ليس أفغانستان المعارضة العراقية أضعف بكثير وصدام يدير دولة بوليسية، من الصعب تحديد موقع تواجده، وهو يستخدم أكثر من شبيه، ولو اقتصر الأمر على شغل المخابرات، بغير أن تواكبه عمليات عسكرية وتصاحبه ضغوط أخرى، لما تعدت نسبة النجاح بين ١٠ و٢٠ فى المائة.

هكذا تكلم باول فى أبريل ٢٠٠٢ أعلن بوش سياسة تقضى بتغيير النظام القائم فى العراق.

وفى يونيو أعلن أنه سوف يشن هجمات استباقية أو إجهاضية ضد الدول التى يعتقد أنها تشكل خطراً جسيماً على الولايات المتحدة.

بدأت تسرى فى الدوائر الحاكمة فى واشنطن حمى مهاجمة العراق.

فى ٤ أغسطس أعلن الأميرال سكوكرفت ـ مستشار الأمن القومى للرئيس بوش الأب ـ فى حديث متلفز معارضته ضرب العراق وقال إن أى هجوم على العراق من شأنه أن يحول الشرق الأوسط إلى «مرجل» يغلى ومن ثم يدمر جهود الحرب على الإرهاب.

كان رامسفيلد ومساعدوه فى وزارة الدفاع وكان تشينى فى مكتب نائب الرئيس ـ يزيدون نيران التهديد بالحرب اشتعالاً.

وكان زميلهم، وغريمهم أيضاً كولن باول فى جولة دبلوماسية فى جنوبى آسيا، كان طريق عودته طويلاً تقطع فيه طائرته نصف القطر من الكرة الأرضية، ربما استعاد فى تلك الأثناء دور ضابط الأركان القديم، جلس إلى مقعده الوثير ليكتب تحليلاً للموقف إزاء ضرب العراق.

كتب كولن باول نقاطاً أدرجها فى مذكرة من ٤ صفحات لاحظ أولاً أن كل ما دار فى مجلس الأمن القومى بشأن العراق كان بشأن الخطط العسكرية، والمواقع العسكرية والأهداف العسكرية، معنى هذا أن السياق الأساسى للمسألة ضاع وتاه من أفكار المتحاورين.

وحين عـاد إلى واشنطن طلب لقـاء الرئيس واسـتغـرق اللقـاء عـدة سـاعـات يوم ٥ أغـسطس الماضى جـاء باول مـسلحـاً بالمذكرة التى كان قـد دونهـا فى الطائرة وتدفـقت مـرافعته أمـام بوش ـ وقـد حضـرت جـوانب منهـا كوندوليزا رايس ـ حول نقـاط مـحورية تتعلق بمسألة العراق، ونوعية العملية العسكرية المطلوبة، وهل ينبغى التعرض أيضاً لردود الفعل المتوقعة فى العالم العربى.

ـ عبارة «المرجل الذى يغلى ويفور» هى المصطلح الصحيح، وبحكم تعامل باول مع قادة المنطقة ووزراء خارجيتهم، فإن المنطقة بأسرها يمكن أن تتعرض لزعزعة الاستقرار، بل إن نظماً صديقة ـ كما فى السعودية ومصر والأردن ـ يمكن أن تتعرض لخطر جسيم بل ويطاح بها من الأسـاس وسط مشـاعـر الغضب والإحـبـاط تجـاه أمـريكا من كل حـدب وصوب، وبهذا يمكن القول إن الحرب سوف تغير كل شىء فى الشرق الأوسط، إنها يمكن أن «تشفط» الأوكسجين من كل ما تفعله أمريكا (لخدمة مصالحها) فى المنطقة، لا من حيث محاربة الإرهاب وحسب، ولكن أيضاً من حيث العواقب الاقتصادية بالغة الخطورة. وسط ركود اقتصادى دولى.

ـ هناك أيضاً سؤال حـول: تكاليف اليوم التـالى بمعنى تكـاليف احتـلال العـراق بعـد تحقيق النصر، ولذلك فلا سبيل لا إلى تنفيذ هذا الاحتلال ولا إلى تحمل تلك التكاليف من خلال عمل منفرد، فنحن بحاجة إلى حلفاء وشركاء.

ـ ثم هنـاك أزمـة الشـرق الأوسط (إسـرائيل وفلسطين) وتلك هى القضـيـة التى يريد العـالم العـربى والعـالم الإسـلامى التوجـه نحـو حلهـا، وهناك كـذلك مـشكلة المعلومـات والاسـتـخبـارات، نحن لم نسـتطع العثـور على بن لادن ولا الملا عـمـر، فـمـا بالك بصـدام حسين الذى يملك دولة بأكملها تحت تصرفـه.. وهكذا تكلم كولن باول مع رئيس الولايات المتحدة.

جاء هذا العرض لأفكار باول متدفقاً يجمع بين عمق التحليل ودفء العـاطفة، مستنداً إلى مجمل تجربته التى دامت ٣٥ سنة فى السلك العسكرى أو بوصفه مستشـاراً سابقـاً للأمن القومى (فى عهد ريجان) أو باعتبـاره حاليـاً على رأس الدبلوماسيـة، بدا الرئيس

بوش وقد تملكه الاعجاب، أصغى بكل ملكاته وكان يطرح الأسئلة بين حين وحين. وكان كولن باول مستعداً لاجابة أهم سؤال: اذن ما العمل؟ ـ من خلال الأمم المتحدة.

ولم يكن العمل من خلال المنظمة الدولية ليروق لدعاة مبدأ اضرب أولاً ولا تبالى. وأظهر جبروت أمريكا العسكرى ولا يهمك أحد، وكم شهدت اجتماعات مجلس الحرب الأمريكى انفجارات فى المناقشات بين باول ونهجه فى العمل متعدد الأطراف من خلال مجلس الأمن الدولى وبين دعوات تشينى ورامسفيلد إلى ضرب العراق من خلال تصرف منفرد تقوم به أمريكا من جانب واحد، وحين توصلوا إلى اتفاق بأن يخاطب الرئيس بوش الأمم المتحدة، أكد الصقور أن على الرئيس أن يبدأ بمهاجمة المنظمة الدولية واتهامها بالتقصير والتهاون إزاء صدام حسين. بعدها شرعوا فى إعداد خطاب الرئيس بوش أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث أصر باول على أن يطلب الرئيس قراراً يصدره مجلس الأمن بعودة المفتشين الدوليين إلى العراق.

أعدوا الخطاب الرئاسى من (٢١) مسودة أرسلوها إلى الوزير باول لإبداء رأيه ممهورة بخاتم «عاجل» وأيضاً خاتم «لاطلاع سيادته فقط» على صفحة من الخطاب اقتصر الرئيس على دعوة الأمم المتحدة إلى مواجهة التحدى المشترك بيننا.

وكم ناضل باول حتى قبل المعارضون تضمين عبارات أدرجوها فى آخر لحظة عند أعلى صفحة ٨ وتقول: «ولسوف نعمل مع مجلس الأمن حتى تصدر القرارات اللازمة» فى قاعة الجمعية العامة جلس وزير الخارجية الأمريكى يصغى إلى رئيسه وهو يلقى بيانه، كان باول ممسكا بقلم رصاص يتابع به سطور البيان كلمة بكلمة. كأى بيروقراطية فى العالم كان موظفو البيت الأبيض قد أضافوا التعديل الجديد إلى آخر مسودات البيان وكانت المسودة رقم ٢٤، لكنهم أخطأوا فوضعوا فى جهاز التلقين أمام الرئيس بوش النسخة القديمة رقم ٢٣ وكانت خالية من الإضافة التى أرادها باول.

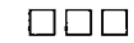
ويتكلم الرئيس فقط عن التحدى المشترك، أين إذن الحديث عن أن أمريكا تطلب قراراً من مجلس الأمن فى مسألة العراق؟ كاد قلب وزير الخارجية يتوقف ولم ينقذه

سوى أن بوش انتبه إلى الفقرة المحذوفة فكان أن ارتجلها بصعوبة قائلاً: ولسوف نعمل مع مجلس الأمن بالأمم المتحدة حتى تصدر القرارات اللازمة».

وتنفس كولن باول الصعداء، لقد حقق فوزاً لدعوة التحالف، إلى التشارك والتشاور مع أطراف أخرى بعيداً عن نزعة الانفرادية المدمرة التى يدعو إليها تشينى ورامسفيلد.

لكنه كان فوزاً مؤقتاً، إلى حين هكذا يقول المؤلف: لقد فتحت قضية العراق نفقاً حالك الظلام يحفه ألف احتمال واحتمال.

لهذا يختم المؤلف سطور كتابه بعبارات يقول فيها: ليس من الواضح ما قد يحدث مع العراق فى نهاية المطاف، هل يتجه جورج دبليو بوش نحو تحقيق النصر أو صوب الكارثة. أو إلى وضع متوسط بينهما؟





8

السلام مع إسرائيل.. مهمة مستحيلة

Bush at War

حرب بوش

استشاط باول غضباً و قال « إن كل واحد يريد أن يخضع الأمور لمقاييسه الخاصة.. لا أحد فى واشنطن يريد أن تكون لديه الجرأة التى تمكنه من مواجهة الواقع.. إنهم يريدون أن ينحازوا إلى جانب إسرائيل ويتركوا لى الحقيبة الفلسطينية لكى أحملها وحدى».



بعد الهجمات الانتحارية فى ١١ سبتمبر الماضى فى نيويورك وواشنطن، وتحديدا صباح الخامس عشر من نفس الشهر، تبلورت خطة الحرب الأمريكية على الارهاب فى اجتماع سرى فى المنتجع الرئاسى فى كامب ديفيد بولاية مريلاند ضم الرئيس وكبار مستشاريه. وحسب معلومات مسربة فان بوش درس ضرب العراق فى المرحلة الأولى من الحرب، لكن اربعة من كبار مستشاريه الخمسة اعترضوا، فى حين حذره وزير الخارجية كولن باول من أن حلفاء أمريكا «سينفضون من حولها» إذا ضرب العراق. وكان مدير وكالة الاستخبارات المركزية، جورج تينيت، واحدا من المستشارين الذين جرى استدعاؤهم بغرض تقديم أفكار و مقترحات فى ذلك اليوم، وقدم تينيت فى عرضه تفاصيل خطة باسم (هجوم ماتريكس) لحملة عالمية على الارهاب.

جلس بوش و مستشاروه حول مائدة المؤتمرات و هم يرتدون ملابس غير رسمية، و جلس إلى يمين بوش نائبه تشينى وإلى يساره باول ثم وزير الدفاع دونالد رامسفيلد. تساءل رامسفيلد: «هل هذا هو الوقت المناسب للهجوم على العراق؟»، مضيفا أنه سيتحتم على الولايات المتحدة ان تعالج وضع العراق إذا كانت جادة فى استئصال الارهاب.

أبدى باول اعتراضه على ذلك وقال للرئيس: «فى هذه الحالة ستسمع اعتراضات من حلفائك، هم الآن معك، جميعهم، وسينفضون من حولك إذا وجهت ضربة للعراق». سمح بوش للنقاش بالاستمرار ولكن كانت لديه تحفظات قوية على العراق. واصل بول وولفويتز، نائب وزير الدفاع، التعبير عن آرائه حول العراق وقاطع وولفويتز رئيسه رامسفيلد، ليكرر

نقطة سبق ان ذكرها. وساد لحظتها صمت حرج حول المائدة. نظر بوش إلى وولفويتز نظرة مباشرة وأثناء فترة الراحة انفرد رئيس موظفى البيت الأبيض بوولفويتز ورامسفيلد جانبا وقال لهما «الرئيس يتوقع أن يتحدث شخص واحد باسم وزارة الدفاع».

وكان آخر من قدم وجهة نظره هو الجنرال هنرى شيلتون رئيس هيئة الأركان المشتركة، الذى حضر ومعه حقيبة أوراق ضخمة. وطالب بوش من البنتاجون المشاركة فى الاجتماع ومعه العديد من البدائل، وكان شيلتون مستعدا للتحدث عن عمليات عسكرية ضد أفغانستان، وإذا لزم الامر ضد العراق، بالرغم من انه كان يعارض تلك الخطوة. ولكن ومع مرور الوقت ناقش ثلاثة بدائل فقط كلها تخص افغانستان. البديل الاول هو غارات جوية بصواريخ كروز، والبديل الثانى هو هجوم صاروخى مع غارات جوية. ووصف شيلتون البديل الثالث والأهم بأنه هجوم بصواريخ كروز وغارات جوية بالقاذفات.

وأكدت المناقشات ايضا اهمية الرئيس الباكستانى الجنرال برويز مشرف فى الحرب ضد الارهاب. وأوضح بوش ان مشرف يخاطر مخاطرة كبيرة «وعلينا أن نجعلها مخاطرة مستحقة. وعلينا مساعدته بعدد من الأشياء، بما فيها الأمن النووى». وأصدر الرئيس أوامره بإعداد برنامج لدعم باكستان.

لقد كانت لدى مستشارى بوش شكوك كبيرة فى نجاح الحملة فى أفغانستان فى بدايتها، وكانت هناك خطة لإرسال ٥٠ الف جندى أمريكى إلى هناك، لكن ٧٠ مليون دولار دفعتها فرق من الاستخبارات الأمريكية (سى. آى. ايه) لزعماء الحرب فى أفغانستان هى التى اطاحت بحركة طالبان.

ولقد كان رامسفيلد سريع الغضب خلال المناقشات، ووجه تشينى نقدا لاذعا لباول، ونجح وزير الخارجية فى الحفاظ على صورته كسياسى معتدل فى مواجهة حملة خصومه من عناصر الصقور فى الإدارة. وكانت كوندوليزا رايس تقوم بدور الوسيط فى مجلس الحرب.

و فى أوائل أغسطس الماضى قام وزير الخارجية الأمريكى كولن باول بجولة

دبلوماسية حملته إلى أندونيسيا والفلبين، ولكنه كان، كما هى حالته دائما، على اتصال بما يحدث داخل أمريكا. كان الجدل حول العراق ما زال محتدما. وكان برينت سكوكروفت، الشخصية الدمثة الذى كان مستشار الأمن القومى فى رئاسة جورج بوش الاب، قد اعلن فى حلقة نقاش تليفزيونية صباح الاحد الموافق ٤ اغسطس، ان هجوما على العراق يمكن ان يحول الشرق الاوسط إلى «مرجل يغلى ويدمر بذلك الحرب ضد الارهاب».

كان ذلك قولا ثقيلا ولكن باول يتفق معه فى الأساس. لم يكن باول قد طرح على الرئيس جورج بوش تحليله والاستنتاجات التى توصل إليها، وفكر أنه يجب أن يفعل ذلك. وفى طريق عودته من تلك الجولة التى وصل فيها إلى منتصف العالم تقريبا، سجل بعض النقاط.

تركز الحوار الذى دار فى مجلس الأمن القومى حول العراق بصورة حصرية تقريبا حول خطط الحرب: كيف ينفذ الهجوم، متى يشن، ما هو مستوى القوات التى تشارك فى الهجوم، ما هى فضائل هذا السيناريو العسكرى مقارنة بذلك؟ وهكذا. كان واضحا لدى باول ان محور التركيز قد ضاع فى هذا الخضم، وتجوهلت مواقف وآراء بقية العالم الذى يعرفه باول ويعيش فيه. النقاط التى سطرها ملأت ثلاث او أربع صفحات.

أثناء حرب الخليج، عندما كان رئيسا لهيئة الأركان المشتركة، لعب باول دور المحارب المرغم على النزال.

وكان يقول للرئيس بوش الأب حينها، ربما بغير حزم، أن احتواء العراق ممكن، وان الحرب ربما لا تكون ضرورية. وباعتباره المستشار العسكرى للرئيس، لم يعمد إلى طرح آرائه بقوة وحزم لأنها كانت آراء سياسية أكثر منها عسكرية. اما وقد صار حاليا وزيرا للخارجية، فان موضوعه هو السياسة، والسياسة العالمية بالذات. ولذلك قرر ان يبذل قصارى جهده، وأن يطرح اراءه واستنتاجاته بصورة لا تترك مجالا لاى غموض حول موقفه من هذه القضايا. كان الرئيس بوش قد سمع الكثير من نائبه ديك تشينى ومن وزير الدفاع دونالد رامسفيلد، وهذا الثنائى يلعب دور الفريق الأول داخل مجلس الحرب. وأراد باول أن

يلعب دور الفريق «ب»، أى ذلك الفريق الذى يمثل الرأى الآخر الذى لم يجد التعبير الواضح عنه بعد. وكان يشعر بأنه مدين للرئيس بما هو أكثر من التنوير المختصر.

عندما وصل باول إلى واشنطن أبلغ كوندوليزا رايس، مستشارة شئون الامن القومى، إنه يرغب فى مقابلة الرئيس. وكان قد سلك طريقا طويلا ومرهقا ليصل إلى تقديم ذلك الرجاء. فخلال الشهور الأولى التى قضاها وزيرا للخارجية لم يستطع مطلقا ان يجبر الهوة الشخصية بينه وبين بوش. لم يصل مطلقا إلى مستوى العلاقة المريحة والمنبسطة والطبيعية التى يقيمها كل منهما مع الآخرين.

كان كارل روفا، كبير مستشارى الرئيس للشئون السياسية يشعر بأن باول خارج إطار الضبط السياسى، وانه يغرد خارج السرب ويتصرف دون اعتبار للصلاحيات. كان روفا يقول فى جلساته الخاصة «انا المسئول دائما، ونحن نتحدث هنا عن السياسة ولا شك اننى سأنتصر فى اللعبة السياسية التى لا تنتهى الا لتبدأ من جديد».

كان روفا يعتقد بان باول فقد الإيقاع، وكان من غرائب الأمور، بالنسبة إليه، ألا يكون مرتاحا فى حضور الرئيس. وحتى بعد الهجمات الارهابية على مركز التجارة العالمى والبنتاجون، كان باول معزولا سياسيا فى بعض الاحيان، وحرمه البيت الابيض من المقابلات التليفزيونية. وكان باول ونائبه وصديقه الحميم، ريتشارد أرميتاج، يقولان على سبيل المزاح أن باول قد وضع داخل «ثلاج» ليستخدم عندما تنشأ الحاجة لاستخدامه.

وفى اوائل اكتوبر استدعى البيت الابيض أرميتاج وطلب منه إجراء المقابلات التلفزيونية. لكن ارميتاج الذى لا يعشق الاضواء اعتذر فى لطف. وعندما ضغطوا عليه، ذهب إلى باول وقال له «اسمع، هذه صفقة لا تروق لى».

وأجابه باول قائلا «لا. أنا أعدت إلى الثلاجة من جديد». ربما يكون قد حدث ذلك لانه كان يضغط لنشر ورقة بيضاء تحوى الأدلة ضد اسامة بن لادن. ولذلك قال لأرميتاج: «يجب ان ننشر هذه الورقة. ولذلك عليك ان تقوم بما طلب منك». وفى يوم ٢ اكتوبر لبى ارميتاج نداء الواجب وظهر فى برنامج «صباح الخير: أمريكا» فى قناة «إيه. بى. سى» و«على الهواء هذا الصباح» فى قناة «سى. إن. إن».

كانت احدى اصعب المهام على عاتق باول هى انه من المفروض ان يتظاهر بأن الخلافات العميقة داخل مجلس الحرب لا وجود لها. ولم يكن الرئيس يتسامح ازاء أى خلاف علنى. وكان باول يتبع كذلك قانونه الخاص الذى يقول «على الجندى أن يطيع». وربما يصدر بوش الأوامر من قبيل «جهز البنادق، أحضر الخيول» وغير ذلك من ظواهر العقلية التكساسية التى يشعر باول أزاءها بالضيق، لكنه كان يعتقد، ويأمل، ان يتفهم الرئيس الأمور بصورة افضل، وان يعى ان منهج الانفراد بخوض الحرب لا يصمد امام التحليل الرصين. وكان يأمل كذلك ان تكون النجاحات الاولى فى حرب افغانستان قد وضعت الأساس لمثل ذلك الفهم.

كان رامسفيلد وتشينى هما الشبحين وراء ماكينة الحرب الدائرة، وكانا مستعدين دائما لتجهيز البنادق وامتطاء الخيول.

فى ربيع ٢٠٠٢ بلغ النزاع الاسرائيلى - الفلسطينى درجة من العنف أصبحت تهدد بابتلاع الحرب ضد الارهاب. وقال الرئيس بوش انه يرغب فى ارسال باول إلى الشرق الاوسط ليحاول تهدئة الامور. وكان باول مترددا فى الذهاب. وقال انه لا يملك الكثير الذى يمكن ان يقدمه كما انه لا يملك ما يضغط به على أى من الطرفين. لكن الرئيس قال له «اننا فى ورطة حقيقية. عليك ان تنفق بعض رأسمال السياسى، واعلم انك تملك الكثير من هذا القبيل. أحتاج إليك لتنفذ هذه المهمة». اجابه باول: «نعم سيدى».

ذهب باول إلى المنطقة، ولم يحقق الا القليل. وبعد ١٠ ايام كان يجهز خطابه النهائى الذى دعا فيه إلى عقد مؤتمر عالمى واجراء مفاوضات أمنية. استدعت رايس ارميتاج من وزارة الخارجية وأبلغته بأن يطلب من باول تخفيف خطابه، والا يتبرع بالتزامات حول المفاوضات المستقبلية. كانت هناك مخاوف حقيقية من ان باول قد تخطى الحدود. كان ارميتاج مسمرا على كرسيه فى واشنطن، حتى يتمكن من التحدث إلى باول اثناء اجتماعاته. كان الوقت منتصف الليل فى القدس، عندما استطاع ارميتاج ان يشرح لباول مخاوف رايس وطلباتها. استشاط باول غضبا. قال ان كل واحد يريد ان يخضع الاشياء

لمقاييسه الخاصة. ولا احد يريد ان تكون لديه الجرأة التى تمكنه من مواجهة الواقع. يريدون ان ينحازوا إلى جانب اسرائيل ويتركوا له الحقيبة الفلسطينية ليحملها وحده.

لقد أرسلوه فى مهمة شبه مستحيلة. قال له ارميتاج: «اننى احرس الابواب هنا بديلا عنك. انهم يأكلون الجبن على حسابك» وهذا تعبير عسكرى قديم يعنى اغتياب شخص ما والاستمتاع بذلك. وقال ارميتاج ان بعض الناس فى وزارة الدفاع وفى مكتب نائب الرئيس يريدون القضاء على باول. وقد سمع من مصادر اعلامية موثوق بها ان هناك مدفعية ثقيلة ستنطلق ضد باول. ويقول هؤلاء انه يميل اكثر مما يجب إلى الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات وان البيت الابيض سيجهض مسعاه وان نصيبه فى النهاية هو الفشل. وقال أرميتاج انه ليس واثقا من مصدر هذه الاتهامات، لكنه قال ان لديه بعض الاسماء من كبار المسئولين فى وزارة الدفاع وفى مكتب ديك تشينى. وعلق باول قائلا: «هذا امر لا يصدق. لقد سمعت نفس الشىء قبل قليل».

قال بعض الصحافيين الذين سافروا مع باول له ان مصادرهم فى مكتب تشينى يعتبرون انه «تخطى كل الحدود، وانه سيجبر على التزام حدوده قريبا». تحدثت معه فى النهاية كوندوليزا رايس وقالت له من الأفضل ألا يدلى باى تصريح اضافى وان يعلن انه عائد إلى واشنطن للتشاور مع الرئيس. كان باول فى خضم معركة دبلوماسية حامية ومرهقة، ولذلك انفجر عندما ابلغته رايس رسالتها تلك، وقال «هل كان مفروضا ان أكتفى بالقول: شكرا على حسن ضيافتكم، انا عائد الآن، وداعا». قالت له رايس انها قلقة من انه ربما القى على كاهل الرئيس وعلى عاتق الادارة التزامات اعمق مما يرغبون فيه.

أوضح لها باول، أن الرئيس والادارة متورطون بالفعل، فهم لا يمكن ان يطلقوا مبادرة على اعلى المستويات مثلما حدث فى خطاب الرئيس فى حديقة الورود فى ٤ ابريل، ولا يتبعون ذلك ببرنامج عملى او خطة للمتابعة. ولكنه وافق على اختصار خطابه. وسهر باول ليلتها حتى الساعة الثالثة صباحا يدون نقاط خطابه وكان واعيا بأنه يعمل فى ظل محظورات كثيرة.

فى ١٧ ابريل ألقى باول خطابه الختامى فى نهاية جولته. كان خطابا من ٢٠ فقرة وكان ممتازا من وجهة النظر الدبلوماسية: كان سهلا ومتفائلا، بل كان بليغا كذلك. وقد استطاع أن يخرجه فى أفضل حلة وان يشير إلى طريق المستقبل دون ان يأتى على ذكر فشله فى الوصول إلى وقف لاطلاق النار. لكن الخطاب لم يسبب ضجة كبيرة.

باول لم يحل مشكلة الشرق الاوسط، ولم يحقق نصرا كبيرا فى اتجاه الوصول إلى الحل. ومع ذلك فان الجولة قد هدأت الامور نوعا ما، وقد شكره الرئيس على ذلك. لم يستطع باول حتى الآن تلطيف علاقته مع الرئيس. وفى النصف الاول من عام ٢٠٠٢، تلقى ارميتاج معلومات موثوقة تفيد بان رامسفيلد يعقد إجتماعات دورية مع بوش.

لكن باول لم ينزعج بصورة خاصة. فهو يمكن ان يعرف ما يحدث فى هذه الاجتماعات من خلال رايس، مع ان رايس نفسها كانت لديها بعض الصعوبات فى معرفة ما يحدث. قال ارميتاج مقترحا لباول: «يبدو لى انه من الضرورى ان تطلب بعض الوقت مع الرئيس». اصبح اللقاء مع الرئيس وجها لوجه أمراً مهما، لكن باول لم يستطع تطوير علاقته مع الرئيس حتى تلك اللحظة. قال باول انه يذكر ذلك الوقت الذى كان فيه مستشارا للأمن القومى فى رئاسة رونالد ريجان، وان الجميع كانوا يرغبون وقتها فى مقابلة الرئيس. لم يكن راغبا فى التدخل وانه اذا كان بوش راغبا فى رؤيته، فى أى زمان واى مكان، فهو مستعد لتلبية الطلب.

كان باول يرى بوش دوما فى الاجتماعات وكان قادرا على التعبير عن آرائه. و لكن أرميتاج قال له : «عليك أن تشرع فى ذلك». و كان ذلك صحيحاً فباول هو وزير الخارجية ولن يكون طلبه الاجتماع بالرئيس نوعا من فرض الذات. كما ان تعزيز علاقته بالرئيس سيساعده فى كل المعارك وسيساعد الوزارة فى كل تعاملاتها. فى نهاية ربيع ٢٠٠٢، أى بعد ١٦ شهرا على رئاسة بوش، بدأ باول يطلب مقابلات خاصة مع الرئيس. وكان ذلك من خلال رايس، التى كانت تحضر الاجتماعات الأسبوعية والتى تستمر حوالى ٢٠ إلى ٣٠ دقيقة. واتضح ان تلك الاجتماعات تتمخض عن بعض الفوائد، ولكن مثلها مثل تجربة

الشرق الاوسط لم تحقق تقدما كبيرا. وفى احد الايام خلال الصيف، كان باول بالبيت الابيض، منتظرا الاجتماع برايس. ولمحه الرئيس ودعاه إلى المكتب البيضاوى.

تحدثا على انفراد لمدة ٣٠ دقيقة، وكان الجو مريحا، وتحدثا عن كل شىء حديثا عاما. وقال باول لارميتاج فيما بعد: «أعتقد اننا احرزنا بعض التقدم فى العلاقة بيننا. واشعر اننا اصبحنا على اتصال». الفجوة بدأت تضيق إذن.

الصورة العامة والتقدم الكبير

دعوة بوش لباول إلى مقر اقامته بالبيت الابيض، مساء الاثنين الموافق ٥ اغسطس، جاءت فى سياق هذا التحسن فى العلاقة وكان الغرض منها مناقشة قضية العراق. امتد اللقاء حتى موعد العشاء ثم انتقل المجتمعون إلى مكتب الرئيس فى مقر اقامته. وقال باول لبوش انه فى الوقت الذى يفكر فيه فى قضية العراق، عليه ان يفكر كذلك فى القضية الاوسع وهى كل النتائج التى ستترتب على الحرب. كان باول يضع نقاطه المدونة إلى جانبه وهو يقول للرئيس ان عليه ان يتأمل النتائج التى ستترتب على حرب العراق فى كل العالم العربى.

كان باول قد تعامل مع رؤساء ووزراء خارجية هذه الدول بصفته وزيرا للخارجية ورأى ان عدم الاستقرار يمكن ان يعم المنطقة كلها والغضب والحقد على أمريكا سيبلغان قمتهما وان الحرب يمكن ان تغير كل شىء فى الشرق الاوسط وستؤدى إلى قتل أى مشروع تحاول الولايات المتحدة ان تنفذه هناك، ليس فى مجال الحرب ضد الارهاب وحده، بل فى كل العلاقات الدبلوماسية والدفاعية والاستخباراتية.

كما يمكن للتبعات الاقتصادية ان تكون هائلة، ويمكن ان تصل بإمدادات النفط وأسعاره إلى مستويات لم يكن يتصورها أحد قبل ذلك. ولا ننسى أن هذا كله يحدث فى لحظات كساد اقتصادى عالمى. كذلك فان ثمن احتلال العراق بعد النصر سيكون فادحا. يجب اذن التفكير مليا فى الآثار الاقتصادية لهذه العملية على الإقليم وعلى العالم وعلى الولايات المتحدة.

باول واثق من الانتصار الأمريكي فى الحرب ضد العراق، لكنه يعتقد ان التكلفة فيما بعد ستكون مرتفعة جدا.

كيف يمكن تصور جنرال أمريكى يحكم بلدا عربيا لفترة طويلة؟ ماذا عن الجنرال ماكارثر كحاكم لبغداد؟ هذا سيكون حدثا ضخما داخل العراق وفى المنطقة وفى العالم. وكم من الوقت يمكن لهذا الاحتلال ان يستمر؟ لا احد يمكن ان يتنبأ بذلك. وكيف يمكن تحديد النصر فى هذه الحالة؟ هذه هى الاسئلة التى اثارها باول.

قال باول مخاطبا الرئيس فى صراحة لا مواربة فيها: «ربما يكون لطيفا ان نقول اننا يمكن ان نتصرف على انفراد. ولكننا فى الواقع لا نستطيع». الخطة العسكرية الناجحة تحتاج إلى قواعد عسكرية وإلى تسهيلات فى المنطقة، وإلى حقوق استخدام المجال الجوى للدول. مثل هذه الحملة تحتاج إلى حلفاء. هذه لن تكون صورة اخرى لحرب الخليج، رحلة سهلة تستغرق ساعتين من السعودية التى كانت متعاونة حتى النهاية وقتها، حتى مدينة الكويت، التى تبعد فقط ٤٠ ميلا. الجغرافيا ستكون صعبة هذه المرة وبغداد تبعد بضعة مئات من الاميال. مشكلة الشرق الاوسط ايضا حاضرة فى كل ذهن. وهى المشكلة التى يرغب العالم العربى والاسلامى فى حلها. وستؤدى الحرب ضد العراق إلى شن هجمات على اسرائيل من الرئيس صدام حسين الذى اطلق عليها صواريخ سكود خلال حرب الخليج. ومع ان صدام حسين، مجنون وشرير ويمثل خطرا حقيقيا، ولا يمكن التنبؤ بما يمكن ان يقدم عليه، الا انه استجاب للردع منذ حرب الخليج. ويمكن لحرب جديدة ضد العراق ان تؤدى بالضبط إلى النتائج التى ظللنا نتفاداها: أى اطلاق يد صدام ليقف وقفته الاخيرة اليائسة والتى ربما يستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل.

أضاف باول كذلك، ان المسألة معقدة جدا على المستوى الاستخباراتى كما يعرف الرئيس. فهم لم يعثروا بعد على أسامة بن لادن، او محمد عمر وغيرهما من زعماء القاعدة وطالبان بأفغانستان. وهم لا يعرفون أين صدام. انه بارع فى كل انواع الخداع والحيل. وهو يملك دولة باكملها ليختفى فى أى ركن من اركانها. وهم لا يحتاجون إلى مطاردة جديدة لا جدوى من ورائها.

كـان الطرح الذى قدمـه باول دفـقـا من الـتحليل والانـفـعـال العـاطفى، لخص فيـه كل خبرته ـ ٣٥ سنة فى الجيش، ومستشارا سابقا للامن القومى واكبر دبلوماسى فى البلاد حاليا. وكان الرئيس مهتما بما سمع وكان يوجه بعض الاسئلة ولكنه لم يتراجع كثيرا.

كان بـاول واعيا بان حجـجه كانت تقتضى السؤال: ما العمل اذن؟ كان يعرف أن بوش يحب الحلول، بل يصر عليها، وكان هو مستعدا للذهاب حتى نهاية الشوط. قال للرئيس: «يمكنك ان تكوّن تحـالفا او تلجأ إلى الامم المتحدة لعمل ما ينبغى عمله». المهم ان الدعم الدولى يجب ان يكون مضمـونا .الامم المتحدة تمثل احد الخيـارات. ولكن يجب البحث عن كل الطرق التى تضمن وجود الحلفاء.

فالحـرب ضد العراق يمكن ان تكون اكثر تعقيدا ودموية من حرب افغانستـان. وحرب افغـانستـان هى الاولى التى تـوضح أهميـة الحصـول على الحلفـاء. قـال الرئيس انه راغب فى تكوين تحالف دولى، وانه استمتع ببناء التحالف الدولى للحرب ضد افغانستان.

واجاب بـاول بان الوقت لم يفت بعد على التوجـه إلى المجتمع الدولى بالخطاب الملائم لبناء التحـالف. سـأله الرئيس عن الحـوافـز والدوافع التـى يمكن ان تضـمـن تأييـد بعض الدول المؤثرة، مثل روسيا وفرنسا وماذا يمكن لهؤلاء ان يفعلوا؟

من وجـهـة النظر الـدبلومـاسـيـة، قـال باول، ان الرئيس والادارة بامكانهم إقنـاع اغلب الدول بالانضـمـام إلى مثل هذا التحـالف. وشـعـر وزير الخـارجيـة بأن النقـاش وصل إلى درجة الحدة فى كثير من اللحظات التى كان هو يصـر على نقاطه، ولكنـه شعر كذلك انه لم يترك شيئا لم يقله. شكره الرئيس، بعد هذا الحوار الذى استمر ساعتين.

ومع ان الوقت لم يكن متـأخـرا على طريقـة بيل كلينتون الا انه كان أمـرا غـيـر عـادى بالنسبة للرئيس وباول.

وشعر باول انه جرد حججه من كل الزوائد واحتفظ فقط بهيكلها العظمى. وقد ضمن له الاجتمـاع مع الرئيس ورايس وحدهما انه لم تكن هناك تدخلات جانبية، مثل تلك التى تصـدر عن تشينى ورامسـفـيلد. وقـالت رايس ان العنوان العـريض للقـاء يمـكن ان يكون:

«باول يدافع عن التحالف باعتباره الطريق الوحيد للنجاح». فى اليوم التالى اتصلت رايس بباول وقالت له: «كان ذلك شيئا هائلا، وأعتقد أننا بحاجة للمزيد من هذه اللقاءات».

وقد وضحت الأهمية الخاصة لذلك اللقاء عندما اتصل رئيس موظفى البيت الابيض اندرو كارد وطلب من باول الحضور إلى البيت الابيض وتقديم نفس الرؤية له، بكل ملاحظاتها ونقاطها. وشعر باول ان ذلك العشاء كان هدفا نظيفا فى الشباك.

□□□



9

حكم التاريخ

لقد فهم الرئيس بشكل مباشر أن ضربة محدودة لن تكون ملائمة لحجم الجريمة.. و الشىء الآخر أن الرئيس بوش كان لديه إحساس بأن هذه لحظة تاريخية.. و أنه شخصياً قد أقحم فى لحظة تاريخية..



لم يكن الرئيس جورج بوش قد أتم جملته أثناء المقابلة التى أجريت معه فى المكتب البيضاوى فى ديسمبر, عندما التفت إلى أحد مساعديه طالباً منه أن يأتيه بأوراق فى الدرج الأعلى من مكتبه. أعطاه الرجل ثلاث ورقات معها صور صغيرة ملونة وسير ذاتية للعشرة الكبار من قادة منظمة القاعدة الارهابية التابعة لأسامة بن لادن.

و من ثم.. واصل حديثه قائلا: لقد قلت لنفسى فى وقت سابق: "أنا من عشاق كرة القدم الأمريكية. ولذلك احتاج إلى لوحة لتسجيل الأهداف". وفهمت ان الناس, بمن فيهم أنا شخصيا, عندما يحاربون عدوا كالقاعدة, لا يعرفون بالضبط ماهية هذا العدو. ولذلك صنعت لوحة الاهداف الخاصة بى.

لقد تحدث بوش اكثر من مرة عن تسجيل الاهداف فى الحرب ضد القاعدة, ولكن ما كان يحتفظ به فى مكتبه اوضح انه لم يكن يذكر ذلك على سبيل التعبير البلاغى, بل كان يعنيه حرفيا. و اشار بوش إلى صورة لمحمد عاطف, المسئول العسكرى الاول فى منظمة القاعدة, والمخطط الاول لهجمات ١١ سبتمبر وقال: "هناك علامة اكس فوق صورته" اشارة إلى انه قتل اثناء القصف الامريكى المكثف على أفغانستان فى نوفمبر.

وكانت هناك نفس العلامة فوق صورة أيمن الظواهرى, الرجل الثانى فى منظمة القاعدة, وكانت تبدو باهتة لأنها شطبت بعد ان اتضح ان التقارير حول وفاة الظواهرى كانت غير صحيحة.

قال الرئيس موضحا: "كنا نعتقد أننا ظفرنا بالظواهرى".

مفكرة بوش حول الاهداف التى سجلها فى الحرب, توضح إلى أى مدى كان يتابع هذه الحرب ضد الارهاب,على المستوى اليومى والتفصيلى, وهو امر يشهد به مساعدوه الذين يتحدثون عن متابعته الشخصية ومراجعته لعملهم.

ولكن الصفحات التى يحتفظ بها بوش على مكتبه توضح كذلك ان هناك الكثير الذى يجب انجازه قبل ان يدعى أى شخص ان نصرا قد تحقق فى الحرب ضد الارهاب. وتشير التقارير إلى ان هناك ١٦ من ٢٢ من كبار قادة القاعدة, ما يزالون طلقاء. ويظل طليقا كذلك قائد طالبان الملا محمد عمر.

وكما يقول احد كبار المسئولين, فان عدم القاء القبض على هؤلاء يوضح حقيقة مهمة: "وهى ان البعد الاستخبارى فى الحرب لم يحقق الاختراق المطلوب".

عندما خاطب الرئيس الجلسة المشتركة لمجلس الشيوخ, فى ٢٠ سبتمبر لطرح الخطوط العامة للسياسة التى أدت إلى خوض بلاده الحرب بعد ثلاثة اسابيع من ذلك التاريخ, كان الرئيس يرمى إلى تحقيق هدف طموح, عندما تعهد للشعب الامريكى وللعالم قائلا: "ان العدالة ستتحقق لا محالة, وذلك اما بتقديم اعدائنا إلى العدالة, او حمل العدالة إلى حيث يوجد هؤلاء الاعداء".

كانت الشحنة البلاغية لذلك الوعد مثيرة للعواطف, مثلها مثل كل اسلوبه القيادى منذ بداية الاحداث. وهو اسلوب مباشر ومركز على الهدف باستمرار وبساطة. ولكن ابعاد المعركة نفسها كانت ابعد من ان تكون بسيطة. فقد اقحم بوش ادارته, كما اقحم الامة الامريكية فى حملة معقدة وخطيرة, مجهولة المدى الزمانى والمكانى فى نفس الوقت.

وكان ذلك شبيها بما فعله مساء ١١ سبتمبر عندما أعلن ان الادارة لن تميز بين الارهابيين والدول التى تؤويهم.

المراحل الاولى من الحرب ادت إلى تحرير افغانستان من نظام طالبان القمعى. ولكن بوش تنبأ بوجود طويل الامد للقوات الامريكية فى افغانستان. قال فى تلك المقابلة: "لا اريد هنا ان اتحدث عن جداول زمنية. ولكننا سنبقى فى افغانستان, حسب اعتقادى, طوال الصيف المقبل. وبهذه المناسبة فإننى لست فى عجلة من امرى".

وقال فى موضع آخر من المقابلة: "لا ارغب فى وضع جدول زمنى, وذلك لأننى لا اعرف. من المؤكد اننى اذا قلت انها ستستمر ٦ أشهر منذ هذه اللحظة. فإنها ربما تستمر ١٦ شهرا. ولكننا سنشن عليهم حملة عاتية حتى نظفر بهم, الواحد تلو الآخر".

و بالإضافة إلى مطاردة قيادات القاعدة وطالبان, تواجه الولايات المتحدة تحديات كبيرة فى افغانستان. فقد كونت حكومة ضعيفة هناك, ولكن تحقيق السلام والاستقرار يعتبر مهمة اصعب من ذلك بكثير, فى بلاد اتسم تاريخها بالعنف والحرب الاهلية. ان اعادة بناء افغانستان بعد عقدين من النزاعات والحروب, و اطعام شعب جائع, يعانى من سوء التغذية ومن ارهاق الحرب الطويلة, يكلف مبالغ طائلة, وسيضع الحكومة التى جاءت بشعارات بناء الامة أمام امتحان بالغ الصعوبة.

يضاف إلى ذلك, كما جاء فى هذه السلسلة, ان ادارة بوش وافقت على العمليات السرية لوكالة المخابرات الامريكية فى ٨٠ بلدا فى كل انحاء العالم, لمهاجمة الارهاب العالمى و ايقاف نشاطه. نتائج هذه العمليات, التى تخاض غالبا مع وكالات المخابرات الاجنبية والشرطة المحلية, لا تكون واضحة للعيان فى أغلب الاحيان, مع ان القاء القبض على ١٣ من نشطاء القاعدة فى سنغافورة يشير إلى ان الحملة تسير إلى الامام.

اعلن الرئيس بوش فى خطابه فى الكونجرس فى سبتمبر انه سيسعى إلى استئصال الحركات الارهابية العاملة على المستوى العالمى. وفى مقابلة ديسمبر اعلن بوش انه سيحقق ذلك الهدف بعبارات اكثر طموحا: "عندما اقول "نكسب الحرب", فإننى اعنى ان الناس سينامون وهم يشعرون بالأمان, لأنهم يعرفون ان أمريكا لن تهاجم من قبل عناصر لا تخافنا ولا تخاف التحالف. أى اننا سنستأصل الارهاب اينما وجد". وربما يكون هذا هو السبب الذى جعل الرئيس يحذر الامة من جديد فى خطابه عن حالة الاتحاد. من الاخطار المحدقة بها محاولا تعبئة الشعب من جديد.

فشبكة "القاعدة" الإرهابية العالمية, جنبا إلى جنب مع منظمات ارهابية اخرى, ما تزال تمثل خطرا. وهناك آلاف الإرهابيين الذين تدربوا فى معسكرات بن لادن وتفرقوا

بين الامم. وفى الغالب فان هؤلاء الارهابيين ينصرفون حاليا لتخطيط الهجمات ضد أمريكا.

تقف وراء الارهابيين الافراد دول إرهابية. وقد ذكر بوش على وجه التحديد العراق و إيران وكوريا الشمالية. وحذر هذه الدول من انها اذا كانت راغبة فى تطوير اسلحة الدمار الشامل فان الولايات المتحدة مستعدة للتصرف على أساس وقائى. وهى سياسة ربما تنطوى على المخاطر الدبلوماسية والعسكرية. ومنذ خطابه حول حالة الاتحاد. كان هم الرئيس ومساعديه أن يوضحوا معنى الاشارة التى وردت فى الخطاب حول العراق و إيران وكوريا الشمالية.

ولكن قول الرئيس بأن هذه الدول الثلاث تمثل "محورا للشر" أثار أسئلة كثيرة حول نوايا الادارة وحول مقدرة الرئيس على الاحتفاظ بنقطة التركيز فى الحملة ضد الارهاب ومقدرته على الاحتفاظ بتأييد الحلفاء.

وكان بوش قد ركز الحملة العسكرية فى العام الماضى على أفغانستان. وذلك لاعتقاده بأن النصر هناك يمكن أن يجعل النصر فى الأماكن الأخرى أكثر سهولة. ولكن اختياره ذاك هو الذي حقق الوحدة العالمية وراء الحرب.

ومن الواضح ان كثيرا من حلفاء أمريكا فى اوروبا والشرق الاوسط, لم يوافقوا بعد على الاهداف الامريكية الأبعد, خاصة إذا انطوت هذه الاهداف على ضربات عسكرية توجه إلى بلدان اخرى.

ويقول المسئولون ان البلاد ما تزال معرضة للأخطار الداخلية. وكما قال وزير الدفاع دونالد رامسفيلد, فى مقابلة أجريت معه فى اطار هذه السلسلة: "لا يمكنك الدفاع فى كل مكان, وفى كل وقت, ضد كل أنواع الأخطار و الأساليب.

لا يمكنك أن تفعل ذلك لأنهم ما يفتأون يغيرون الأساليب والتكتيكات, ويغيرون أوقات الهجوم ولا تملك غير أن تطاردهم".

وبدأت ادارة بوش تحت اشراف توم ريدج، مدير الامن الوطنى، فى إحكام الاجراءات الأمنية للتقليل من الاخطار المحتملة. ولكن حقيقة أن بوش سيطلب من الكونجرس مضاعفة الاموال المخصصة لهذا البند ذى الأولوية، يشير إلى الثغرات التى لاتزال موجودة لحماية الناس من الهجمات الارهابية فى المستقبل.

انجازات الحكومة حتى الآن ماتزال مختلطة فى هذا المجال. فبالرغم من المعلومات الاستخبارية المستمرة حول اعتزام "القاعدة" تنفيذ هجوم ضخم اواخر الصيف الماضى. إلا أن المخابرات الامريكية لم تستطع تحديد الزمان والمكان والطريقة التى ارتكبت بها احداث ١١ سبتمبر. وبعد ذلك عندما حدثت هجمات الجمرة الخبيثة فى اكتوبر كان رد فعل الحكومة مضطربا وأقل من كل التوقعات. وقد تعلم خبراء الامن العام الكثير من هذه التجربة، ولكن لا يمكن لأحد ان يجزم بمدى استعدادهم لمواجهة هجمات ارهابية جرثومية ذات طابع مختلف تماما.

عبر المسئولون الحكوميون اخيرا عن وجهات نظر متضاربة حول الاجراءات الأمنية للألعاب الاولمبية الشتوية فى مدينة سولت ليك سيتى. فبعد زيارة قام بها يدج إلى المدينة الشهر الماضى، أعلن أنها "ستكون اكثر البقاع أمانا على وجه الارض" اثناء الالعاب. ولكن المدعى العام جون اشكروفت، وبعد زيارة للمدينة استغرقت اربعة ايام، أمر بتنفيذ اجراءات امنية اضافية. مما يجعل الحرب ضد الارهاب نسيجا واحداً، هو هذه السرية المطبقة التى تحيط بها، فالبنتاجون لم يكشف عن تفاصيل كثيرة حول العمليات العسكرية فى افغانستان. وكان بوش قد صرح منذ البداية ان بعض جوانب الحرب ستبدو مألوفة، ولكن الكثير من جوانبها لن يكون واضحا للعيان. فهى ليست كحرب الخليج، حيث كان المراسلون يذهبون مع القوات الأمريكية فى مهامها العسكرية.

وإذا وضعنا فى الاعتبار بشاعة أساليب الإرهابيين، يصبح من المفهوم إحاطة الحرب بهذه السرية البالغة. وهذه الحقيقة نفسها تجعل من الصعب على الشعب الامريكى وعلى الكونجرس إثارة الاسئلة حول سياسات الادارة او الحكم على مدى فعالية هذه الأساليب.

وربما يستغرق الامر بضع سنوات حتى تظهر الحقائق حول بعض الجوانب. وفى هذه الاثناء فان المقياس الوحيد للنجاح سيكون هو غياب الارهاب على المستوى المحلى.

خاض بوش هذه الحرب بعقلية "مهما كان الثمن". وبصرف النظر عما اذا كان هذا الثمن هو تكلفة اعادة بناء نيويورك, او توفير الاسلحة التى يحتاجها البنتاجون, أو حوالى بليون دولار من وكالة المخابرات المركزية, للانفاق على العمليات السرية. هذا لا يهم, لان المهم هو الانتصار على الارهاب مهما كان الثمن.

وقد شجع بوش مساعديه للتفكير واسع الأفق, وإتباع المناهج غير التقليدية, و الاقدام على المخاطرة. اتسم اداء الرئيس فى المكتب البيضاوى قبل عام بأنه يركز على الصورة الشاملة, ويحدد الخطوط العريضة لما ينبغى عمله, تاركا لمساعديه مهام صياغة التفاصيل وإعطاؤهم السلطة لتنفيذها. وقد اتبع هذا المنهج خلال العشرة الايام الاولى لهجمات ١١ سبتمبر عندما اتخذت القرارات حول المدى الكلى للاستجابة للاحداث. ومع ان هذا النهج استمر على وجه العموم, الا ان مساعديه يقولون ان هناك عنصرا جديدا ظهر منذ تلك الهجمات. انه يطالب بتحديد المسئولية, ويطالب بالنتائج, ربما بصورة قريبة من الهوس. ويقولون انه يعمل يوميا من اجل ضمان فاعلية الوكالات الحكومية إلى اقصى مدى, وانصرافها إلى مطاردة قادة القاعدة, ومتابعة كل خيط يمكن ان يوصلهم إلى نشاط ارهابى بالخارج, وان يضغطوا على الامم الاخرى للمساعدة فى الحرب ضد الارهاب و ابعاد اية احتمالات بشن ضربات ارهابية فى المستقبل.

قال احد كبار المساعدين فى الادارة: "عليك ان تكون حذرا جدا فيما تقوله أمامه. لأنه سيسألك عنه غدا". كان قد طلب من وزارة الخارجية تحضير ما صار يعرف باسم: "قائمة ما نتوقعه من الدول". وقد تضخمت هذه القائمة لتصبح كتالوجاً كاملا يحدد المطلوب من حوالى ١٠٠ بلد فى كل انحاء العالم. وقال بوش: "يمكنك ان تنظر إلى إليمن مثلا فتجد اننا نطلب هذه الاشياء المحددة. وهذه الطلبات يجب تعديلها بصورة مستمرة. ومتابعتها على هذا الاساس".

رسم مسئولو وزارة الخارجية جدولا به ثلاثة أعمدة.

العمود الاول يحدد ما يقوم به البلد المحدد حاليا فى الحرب ضد الارهاب.

العمود الثانى يحدد المطلوب من البلد عمله فى المستقبل.

العمود الثالث يحدد ما تقوم به أمريكا لحملهم على تنفيذ هذه الطلبات ومن هو المسئول عن تنفيذ هذه الواجبات.

فى البداية كانت هذه القائمة تحدد الوضع الدبلوماسى الحالى مع البلد المعين. ولكنها مع مرور الزمن تطورت إلى قائمة من الرغبات و الامانى. فقد اصبحت القائمة تفصيلية للدرجة التى تحدد الاقطار التى تسمح للطائرات الأمريكية بإعادة التزود بالوقـــود, وحتى مستوى حرس الحدود. وقد تضخمت وتعقدت للدرجة التى جعلت المسئولين فى الوزارة يسمونها "أم القوائم".

يقوم الرئيس كل اسبوع بالمتابعة التفصيلية مع اشكروفت ومدير مكتب المباحث الفيدرالية (إف.بى.آى) ويعرضهم لأسئلة دقيقة ومرهقة حول تحقيقاتهم, ويطلب منهم آخر المعلومات حول مواضيع ذكروها من قبل.

قال بوش: "مهمتنا هى ألا نسمح لهم بمهاجمتنا من جديد, مثلما هى النصر عليهم فى الحرب. و اننى أوجه السؤال كل يوم لبوب مولر: "ماذا فعلت حول محمد جونز. او الرجل الاخر الذى تتابعه؟".

وعندما يذهب مولر إلى مكتبه يتوجب عليه ان يحدد السبب الذى جعل مكتب هيوستن أو مكتب دالاس, او أى مكتب آخر لم يستجب لمتطلبات قانون مراقبة المخابرات الاجنبية. وهذا القانون هو الذى يحدد الاجراءات التى يمكن بمقتضاها الحصول على شرائط المراقبة السرية للمشتبه فى علاقتهم بالإرهاب داخل الولايات المتحدة.

قال الرئيس إن أسئلته "ساعدت فى تغيير ثقافة مكتب المباحث الفيدرالية". ويوافق على هذا القول المسئولون فى المكتب. ويخضع للتغيير و اعادة النظر حاليا, كل شىء من تعيين العملاء الجدد, إلى تدريب الموظفين الحاليين او الذين يتم تعيينهم فى المستقبل

لتشغيل اجهزة الكومبيوتر, بل يخضع للتغيير حاليا حتى التصور لما يكون عليه عميل ال"اف بى آى" الذى استمر عاملا خلال ٩٠ عاما.

التحول الاساسى يتعلق بالتركيز على منع الارهاب, اكثر مما يركز على معاقبة الجرائم. وقد اثار هذا المنحى اسئلة حول العلاقة بين منع الجرائم الارهابية, والمحافظة على الحريات المدنية. وفى ضوء ما حدث يوم ١١ سبتمبر, فان الكونجرس قد ساند الادارة على وجه العموم وخاصة بإجازته لقانون مكافحة الارهاب فى اكتوبر.

ويحمد مساعدو بوش لرئيسهم انه حدد مؤشرات الاستجابة لأحداث ١١ سبتمبر فى الساعات الاولى من تلك الهجمات. قال احد كبار المسئولين: "الامر الاكثر اهمية هو احساسه الغريزى المباشر بما يتوجب عمله, وحقيقة اننا لن نتكفئ ونقتل المسألة بحثا بعد عدد هائل من الاجتماعات. بل كان ما وعد به هو اسقاط هذه الشبكة. واننا سنفعل ذلك مهما كان الثمن. وقوله لمساعديه انهم يملكون كل الصلاحيات التى يحتاجون إليها. عليهم فقط ان ينجزوا الهدف".

طرح بوش الحرب باعتبارها مواجهة بين متقابلات مطلقة: الخير فى مواجهة الشر: معنا أو ضدنا. انه قد أضفى طابع الأبيض والأسود على حملة كسبت الآن على الأقل تأييدا شعبيا كاسحا. وبعد ابشع هجوم على أمريكا فى كل تاريخها, فان الحرب ربما كانت قد اصبحت حتمية. فاختراق القلعة الامريكية الحصينة, والالاف الذين ماتوا, والكرامة الجريحة للقوة العظمى الوحيدة الباقية, وحصانتها المفترضة, كل هذا كان يستوجب الحرب. قال احد كبار المستشارين الرئاسيين عن بوش: "لا أعتقد انه اعترته حيرة روحية كبيرة. ولا بد انه قال لنفسه: "هذه ضربة هائلة وبالغة البشاعة, وجهت إلى وطنى, وسأتصدى لها بكل ما أستطيع. وكل من يرغب ان يكون صديقا لوطنى سيقف إلى جانبى, وهذه مسألة واضحة وبسيطة. أليس كذلك؟ لم تكن هناك اذن كثير من التفاصيل. ولم يكن هناك تأمل مسبق وتطبيق للنظريات الجيوسياسية وابعادها المختلفة".

وصف رامسفيلد فى مقابلة اجريت معه، مسلك الرئيس بصورة اكثر مباشرة: "قرر مباشرة انه سيعلن الحرب ويخوضها".

وقالت مستشارة الامن القومى كوندوليزا رايس، ان الرئيس فهم مباشرة "ان ضربة محدودة لن تكون ملائمة لحجم الجريمة. والشيء الآخر هو ان الرئيس كان لديه إحساس بأن هذه لحظة تاريخية، وأنه شخصيا قد أقحم فى لحظة تاريخية".

هذا الاحساس الغريزى، كما يقول مساعدو الرئيس فى مجلس الحرب، هو الذى حال بينهم وبين أى انحراف عن المجرى المحدد منذ الايام الاولى للهجمات، هو الذى ضمن الا يكون هناك أى نوع من المماحكة. وكان احد المسئولين قد وضع قائمة طويلة من ردود الفعل المحتملة، واذا كانت هذه القائمة قد اتبعت لكانت قد أبطأت رد الفعل الواضح القوى.

ربما كانت الادارة ستنتظر جهة ما تعلن عن مسئوليتها عن الاحداث، ربما انتظرت حتى تصبح الادلة صلبة ولا مجال للشك فيها، وربما ارسلت مبعوثين للتشاور مع العواصم الاخرى. وربما كان مسئولو الادارة قد فكروا فى حرب تقليدية، او ربما انتظروا حتى يصبح التحالف الشمالى اكثر كفاءة وافضل تدريبا. وربما لم تكن فرق ال"سى آى ايه" والقوات الخاصة قد ارسلت إلى الميدان فى افغانستان بهذه السرعة.

قال المستشار: "كانت تلك كلها مخاطر كان على استعداد للإقدام عليها".

ولكن هل أدى اسلوب الرئيس إلى محاصرة الحوار الداخلى، او إلى خنق وجهة النظر المخالفة، او إلى اغلاق المنافذ المحتملة؟

يقول مستشاروه، انه فى ضوء جسامة ما حدث فى ١١ سبتمبر لم يكن هناك خيار غير الطريق الذى سلكه. وربما يحتاج الامر إلى عدة سنوات حتى يتمكن شخص من اصدار حكم يتسم بالموضوعية والبعد عن التأثر المباشر بالاحداث. ويقدم أحد مسئولى الادارة مطالبا بعدم ذكر اسمه، هذه الملاحظة: "يمكن للرئيس ان يعرف ما يريد ان يعرفه، ولكنه لا يعرف ما كان ينبغى عليه أن يعرفه".

ربما تكشف احداث المستقبل, وتحليلات المؤرخين, أن هناك بدائل أخرى لم تخضع للنقاش فى الايام العشرة اللاحقة لهجمات ١١ سبتمبر, لأن الرئيس حدد افضلياته وخياراته بصورة مسبقة, وكان مصرا على التصرف العملى المباشر.

اثناء المقابلة وجهنا سؤالا للرئيس حول ما اذا كانت قد انتابته لحظة من الشك حول الحرب وحول قراراته, سواء كان ذلك فى الحمام او اثناء الصلاة او شىء من هذا القبيل؟

"اعرف انه يصعب عليك تصديق هذا, ولكننى لم اشعر بأى شك حول سلامة ما نقوم به. اننى اشعر بالحزن نحو أولئك الذين فقدوا حياتهم. ومن الناحية الاخرى, لم يكن هناك أى شك فى ذهنى حول صحة ما قمنا به. لم يكن هناك ادنى شك".

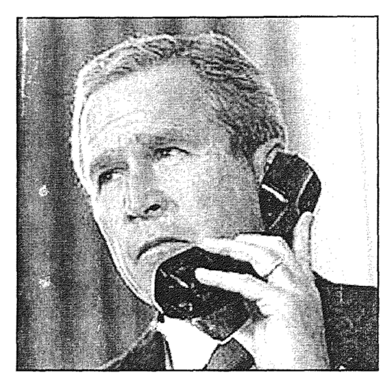
قال كبير مستشارى البيت الابيض, كارل روفا, الذى يعرف بوش منذ السبعينات. ان الرئيس قد ميز بين ما يمكن ان يتحكم فيه وما لا يمكن ان يتحكم فيه: "بعد ٥٣ سنة. عندما يكشف كل شىء للجمهور. اعتقد ان الاحساس بحتمية ما حدث سيكون واضحا للجميع.

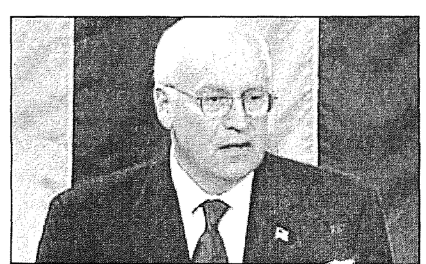
هذا الاحساس بانه اذا كان كل هذا العدد من الارهابيين موجودا فإن هذا يعنى دون ادنى ريب انهم يستهدفوننى. وانهم اذا كانوا يريدون استخدام سلاح بيولوجى ضد البيت الأبيض, فمهما أطنب الناس فى الحديث, ومهما فعلوا, فانهم ربما ينجحون فى استخدامه. ولكن لن تكون هناك لحظة من تعذيب الضمير. لن تكون هناك لحظة يصيح فيها المرء "يا إلهى" لن تكون هناك لحظة القشعريرة التى يجلبها فقدان الثقة بالنفس. لن تكون هناك لحظة يشك فيها الناس حول صحة ما قاموا به. هذا لن يحدث مطلقا".

قال روفا ان الرئيس يتحدث دائما عن النتائج وعن ان ادارته سيحكم عليها بنتائج الحرب.

واضاف روفا: "سيعتمد كل شىء على النتائج. المنتصر دائما على حق. ويسبغ التاريخ على المنتصر خصائص ربما تكون موجودة فيه, ولكن ربما لا تكون موجودة أصلاً. وكذلك الحال بالنسبة إلى المهزوم".

□□□



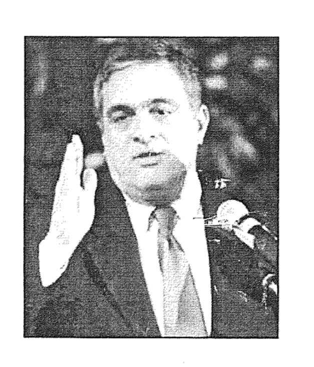












الفهرس

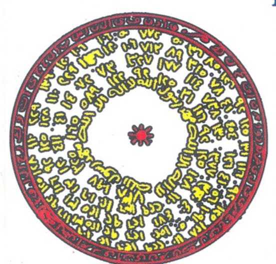


7 & 10 شارع السلام أرض اللواء المهندسين

تليفون : 3256098 - 3251043

عرض وتحليل: **حسين عبد الواحد**

BUSH AT WAR





حرب بوش

■ حرب بوش (Bush at War) ربما كان من أخطرما كتب الصحفى الامريكى الشهير بوب وودوارد الذى يصفه البعض بأنه عدو الرؤساء فى أمريكا..

وربما كان هذا هو السبب فى أن يتصدر هذا الكتاب قائمة الكتب الأكثر مبيعا" فى الولايات المتحدة الأمريكية والعالم.

والحقيقة أن توقيت صدور كتاب حرب بوش والظروف التى عاشها العالم خلال العامين الماضيين والتى لعب فيها الرئيس الامريكى الحالى جورج بوش دوراً بارزاً ومحورياً جعلت مضمون هذا الكتاب قضية تهم كل البشر، خاصة فى ضوء نزعة الحرب التى إجتاحت الولايات المتحدة الأمريكية بعد هجمات الحادى عشر من سبتمبر٢٠٠١، وما تلاها من هجمات مروعة أطلق عليها البعض إسم الحرب ضد الارهاب، والتى إمتدت نيرانها إلى مناطق مختلفة من العالم بدءاً من أفغانستان..وبقية الدول الاسيوية، وحتى أفريقيا وأوربا وأمريكا الاتينية والولايات المتحدة ذاتها.

وإذا كانت تقديرات المراقبين والخبراء تؤكد أن كل تلك النيران التى شهدها العالم حتى الآن، هى مجرد بداية للجحيم الكبير الذى من المتوقع أن يندلع فى منطقة الشرق الاوسط عن طريق الغزو الامريكى للعراق، والمذابح الاسرائيلية ضد الفلسطينيين والتهديد بتغير أنظمة الحكم القائمة فى المنطقة والحرب ضد الاسلام.. إذا كانت تلك التقديرات صحيحة، فلا شك أن كتاب حرب بوش يستحق أن يوصف بأنه كتاب الساعة الذى يكشف مايدور فى أروقة أخطر المؤ... الامريكية، مثل البيت الابيض والبنتاجون و وزارة الخارجية فى واشنطن. من هذا المنط... قراءة هذا الكتاب ذات أهمية حيوية فى كل مكان من العالم..ومن هنا كان إصرارنا على أن ... القارئ العربى أحدث المتغيرات ويطلع على أخطر الاسرار التى تضمنها هذا الكتاب

الناشر